شعراء الدعوة الاسلامية

في العصر الحديث

تأليف

احمد عبد اللطيف الجدع   حسني ادهم جرار

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

٧

علّال الفاسي

عَبدُ الله كنّون الحسني

عَدنان النَّحوي

زهَير المُزوّق

كمال الوَحيدي

مؤسسة الرسالة

شعراء الدعوة الاسلامية
مؤسسة الرسالة

شعراء الدعوة الإسلامية
في العصر الحديث

شعراء الدّعوة الإسْلاميّة
في العَصْر الحَدِيْث

تأليف

أحمد عبد اللطيف الجدع

حسني أدهم جرار

الجزء السابع

مؤسسة الرسالة

الطبعة الثالثة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

شعراء هذا الجزء

عَلّال الفاسي

عَبدُالله كنّون الحسني

عَدْنان النَّحَوي

زهَيْر المُزوَّق

كمال عَبْدالكريم الوَحيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

علال الفاسي

ما سمعت اسم المغرب أو قرأت عنه إلا وتذكرت علال الفاسي .

لقد ارتبط اسم المغرب في أذهاننا بإسم هذا الرجل الفذ كما ترتبط الحوادث الكبرى بأسماء الرجال العظام .

فالمغرب المسلم ، والمغرب المجاهد ، والمغرب المستقل ، يدين بهذه الصفات لهذا الرجل العظيم الذي نذر نفسه منذ صباه حتى آخر لحظة من حياته للمحافظة على المغرب عربياً مسلماً وحراً مستقلاً .

عندما بدأ الانحسار الإسلامي عن الأندلس (إسبانيا والبرتغال حالياً) ، وحالف النصر الجيوش النصرانية ، ارتكبت هذه الجيوش الهمجية أبشع الجرائم ضد المسلمين الذين جعلوا من الأندلس منارة للحضارة والعلم تشع على من حولها من

الدول والشعوب ، فقتلت أعداداً لا حصر لها ، وأجبرت أعداداً أخرى على مغادرة البلاد فراراً بدينها ، وألجأت أعداداً كبيرة على التنصر فراراً من الاضطهاد والتعذيب ، ولم يقنعها هذا كله ، بل ضاقت بأولئك الذين رضوا بالتحول عن دينهم إلى النصرانية ، فأثارت جوهم الشكوك ، وأقامت لهم محاكم التفتيش الشهيرة[1] ، وسامتهم صنوفاً وألواناً من العذاب لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في البشاعة والخسة والنذالة والبطش والتنكيل ، وما زالت الأيام تكشف عن فظائع هذه المحاكمات التي أقيمت للمسلمين الأبرياء ، وكان آخر هذه الإكتشافات ما نشر عن العثور على ثمانية آلاف جثة في برج مسدود في كنيسة مدينة ليزا بالقرب من الحدود البرتغالية الإسبانية ، مات أصحابها جميعهم في جوّ من الخوف والرعب لا مثيل لهما كما جاء في تقرير اللجنة التي فحصت هذه الجثث[2] .

وكانت أسرة آل الجد التي ينحدر منها علال الفاسي إحدى هاتيك الأسر التي فرت بدينها إلى المغرب عبر مضيق الفاتح

(١) لمزيد من المعلومات عما قامت به محاكم التفتيش ضد مسلمي الأندلس يراجع كتاب « محاكم التفتيش » تأليف الدكتور علي مظهر ، نشر مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٦٦ هـ .
(٢) راجع ما نشر عن هذا الاكتشاف في جريدة الدستور الأردنية العدد ٤٢٩٠ الصادر بتاريخ ١٣٩٩/٨/٢١ هـ .

الإسلامي العظيم طارق بن زياد ، وسكنت مدينة فاس حيث عرفت منذ ذلك الوقت بعائلة الفاسي .

وحملت هذه الأسرة معها من الأندلس ما عرفت به من علم غزير ومعرفة واسعة ، وباشرت منذ وصولها في تبليغ هذا العلم للناس ، فكان منها علماء وقضاة ومؤلفون مشهورون .

وفي عام ١٩١٠م ولد بفاس طفل لهذه العائلة الكريمة ، تبدو عليه مخايل الذكاء والنبوغ ، فاهتمت به الأسرة إهتماماً بالغاً ، وما إن بلغ سنّ التلقي حتى دفعه والده إلى الكتّاب لتعلم القرآن الكريم ، ذلك الزاد الذي لا يضل من جلس إلى مائدته وتزوّد من هديه .

وبعد أن اعتمد على هذه القاعدة الثابتة من كلام الله وهديه انتسب إلى المدرسة العربية الحرة في فاس للتزود بعلوم اللغة العربية ، ثم استمر في دراسته بجامعة القرويين إلى أن حصل على الشهادة العالمية سنة ١٩٣٢م .

وبدأ علال نشاطه في الحياة العامة قبل أن ينهي دراسته في القرويين ، ورأى أن أفضل ما يقدمه لأمته علم ينفعها وأدب يرقى بها ، فدعا مع جماعة من المخلصين للدين والوطن إلى إنشاء مدرسة يربى فيها الطلاب تربية إسلامية متينة ،

فأنشأوا المدرسة الناصرية ، وكان علال أحد مدرّسيها ، فكان له في طلبتها أثر محمود رغم صغر سنه آنذاك ، وهكذا الرجال العظام يبدأون وهم صغار السن ، كبار الهمم ، بالأعمال الجليلة التي تلفت إليهم الأنظار وتجمع حولهم القلوب .

وكان لدراسته الإسلامية أثره البالغ في توجيهه نحو العمل الوطني ، فالإسلام الذي عليه تربى ومن معينه استقى أكبر عدو للاستغلال والظلم والعبودية ، فما إن وعى علال على الحياة وأدرك أن هؤلاء الحاكمين غرباء عن وطنه ، لا يدينون بدين أمته ، حتى باشر في العمل على مقاومتهم وحربهم ، فألف في سنّ مبكرة أول جمعية سرية من الشباب المؤمن في جامعة القرويين لمقاومة الإستعمار الفرنسي وأوليائه[1] من حثالات الأمة ونفايات البلاد ، واختاره زملاؤه في هذه الجمعية رئيساً لها ، يدير أمورها ، ويوجه أعضاءها ، ويقودهم في جهادهم في سبيل الله .

---

(١) آثرنا استعمال تعبير « أولياء الاستعمار » على التعبير الشائع « عملاء الاستعمار » لأن هذا التعبير هو الذي يرد في القرآن الكريم لمثل هذا المعنى ، قال تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » الآية ٢٨ من سورة آل عمران . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » الآية ٥١ من سورة المائدة .

واتجه علال في جهاده إلى أمور وضعها بذكاء نصب عينيه، كلها تؤدي إلى استقلال الوطن وحريته وسعادته:

فجاهد ضد تصرفات الإدارة الأجنبية، ونبه الشعب إلى المقاصد الاستعمارية وراء هذه التصرفات، وطالب بشدة، كخطوة على الطريق، بإصلاح المجالس البلدية، بادئاً بمدينة فاس، فمتى كان القائمون على هذه المجالس من المخلصين المجاهدين، فإن عملهم يتوجه للوطن والمواطنين، أما إذا استمر أولياء الفرنسيين في هذه المجالس فلن يرى الشعب نفعاً ولا خيراً، وسيذهب النفع والخير إلى المستعمرين الظالمين.

ثم اتجه في جهاده لإصلاح التعليم في البلاد وبخاصة في جامعة القرويين التي كان أحد طلابها ثم واحداً من ألمع مدرسيها، وكان لجهاده في هذا الميدان أثر ملموس.

أما الميدان الثالث الذي شمله جهاده فهو تبصير الناس بحقيقة الدين، والعمل على تنقيته مما شابه في عصور التحجر من اعتقادات ضالة، وشن حملة موفقة على المشعوذين وأصحاب الطرق المنحرفة، وانتزع من حولهم أولئك الذين هربوا من الواقع وغمسوا أنفسهم في حلقات الشعوذة والضلال، وقادهم إلى طريق الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض.

كل هذه الميادين التي خاضها المجاهد الكبير كانت في سبيل نهضة إسلامية شاملة تجتث بوثبتها المستعمرين الذين ربضوا على صدر الوطن ، وكتموا أنفاس بنيه ، وصادروا حرية العقيدة ، وألبسوا الضال ثوب المهتدي ، والمجرم ثوب البريء ، والخائن ثوب الشريف ، فقربوا الجناة ، وأبعدوا المستقيمين ، ورفعوا الفسّاق وطأطؤوا من الشرفاء ، أو هم حاولوا ذلك فوجدوا من علال الفاسي وأمثاله من العلماء الصادقين والمجاهدين الأبرار من تصدى لهم ووضع الأمور في نصابها .

ومن صفات أعداء الله أنهم كلما انكسر في أيديهم سلاح انتضوا سلاحاً غيره ، وكلما كَلَّتْ في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها ، حرصاً منهم على حرب المسلمين ، وهفة منهم على القضاء على هذا الدين ، لذا فإنهم عندما رأوا جهاد علال وأصحابه يؤتي ثماره في ميدان الإصلاح الإداري ، بادروا سنة ١٩٣٠م إلى إصدار ما يسمى بالظهير البربري ، وهو محاولة من محاولاتهم اللئيمة للتفريق بين العرب والبربر من سكان البلاد ، فتنبه علال وأصحابه المجاهدون لهذه المكيدة ، فتصدوا للإدارة الفرنسية التي أصدرته ، وأبدت الإدارة الفرنسية مقاومة شديدة للمجاهدين ، فاعتقلت علالاً ،

ولكنها عادت وأفرجت عنه بعد شهر ، ثم عادت لاعتقاله مرة أخرى ونفته إلى جبال الأطلس بعيداً عن الجماهير التي كانت تتأثر به وتؤثره .

وعاد بعد النفي أصلب عوداً ، وأشد بأساً ، وأكثر تصميماً ، وأكد زعامته ومكانته في البلاد تلك المواقف الصلبة التي وقفها من المستعمرين وأوليائهم رغم السجن والنفي ، وطار اسمه في البلاد كواحد من أبرز الشخصيات المغربية في مقاومة المحتلين .

كان الزعيم الكبير على يقين بأن هذه الأمة لا تنهض إلا بالإسلام ، ولا حياة لها إلا بالإيمان بهذا الدين العظيم ، ولا قيمة لها في الحياة ولا وزن لها بين الأمم إلا إذا قدمت للعالم منهجاً للحياة ينقذه مما هو فيه من اضطراب في السلوك وفوضى في الأخلاق وارتكاس في الفطرة وظلام في الحكم والسياسة ، لذا فقد اتجه علال بعد عودته من المنفى إلى الاهتمام بالتعليم الحرّ ، فأخذ يعقد الدروس المسائية في جامعة القرويين ، ويلقي فيها على مستمعيه دروساً في التاريخ الإسلامي ، وقد وضع نصب عينيه أن يصل بهذه الدروس إلى هدفين عظيمين ؛ أولهما تربية الأمة تربية وطنية إسلامية تثير في نفوسها العزة ، وتبعث فيها روح المقاومة الإسلامية للاستبداد والظلم والقهر

والطغيان ، وثانيهما بيان ما في تاريخنا العظيم من مواقف إنسانية سامية ، وما في ديننا الحنيف من مثل عظمى وقواعد إنسانية تصلح لإشاعة العدالة في العالم أجمع .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المستعمرين في كل الأقطار الإسلامية عمدوا إلى تشويه التاريخ الإسلامي العظيم ، وألحوا الإلحاح كله على إبراز مواقف الخلاف والمنازاعات ، وصاغوها بأسلوب ينفِّر أبناءنا من تاريخهم ورجالاته ، وكلما حاول مصلح مخلص أن يعدل في هذه المناهج أو يصوغها صياغة تبعث روح الاعتزاز بهذا التاريخ ، وتحيي روح التأسي به ، حاربوه وأبعدوه ، وسلطوا عليه ألسنة الأجراء وأقلام الأولياء... ولكن هذا الحال مستحيل الدوام ، وتتابع جهود المخلصين كفيل بإبراز الوجه الحقيقي المشرق للتاريخ الإسلامي المجيد .

وحاولت الإدارة الفرنسية أن تمنع المجاهد الفاسي من إلقاء دروسه في التاريخ الإسلامي ، ولكنها فشلت ، فلجأت إلى آخر سهم في كنانتها ، فحاولت اعتقاله سنة ١٩٣٣ م وهو عائد من طنجة إلى فاس ، ولكنه علم بما يدبر له ، فترك طنجة إلى أوروبا حيث بدأ اتصالاته بالشخصيات الإسلامية المجاهدة التي ألجأتها ظروف بلادها إلى الهجرة هناك ، وكان

أبرز من اتصل بهم في هذه الفترة الأمير شكيب أرسلان.

كان إبعاد علال الفاسي عن الشعب المغربي هو أقصى ما تتمناه الإدارة الفرنسية، وقد أحس المجاهد الكبير بذلك، فأسرع بالعودة إلى الوطن سنة ١٩٣٤ م، وتلقته الإدارة الفرنسية بالمغريات التي تذلّ لها الرقاب، وتزل فيها الأقدام، فأعرض عن كل هذا، واستعلى بنفسه عنه، وكيف يقبل من نذر نفسه لدينه وأمته أن يتعاون مع أعداء هذا الدين ومستغلي هذا الوطن؟ وتحدى علال المستعمر ومغرياته وتجاهل تهديده ووعيده، وعاد إلى دروسه في التاريخ الإسلامي، فاشتد الإقبال على هذه الدروس وازداد تأثر الناس بها، فعملت على تكوين عقليات جديدة تفخر بتاريخها وتعتز بأبطالها، وبعثت من بين المستمعين رجالاً أصبحوا فيما بعد القادة المجاهدين والعلماء الموجهين.

وشعر الفرنسيون بخطورة هذه الدروس، فأصدروا أوامرهم الظالمة بمنعه من التدريس في القرويين، فما استسلم، بل فتح منزله لتلاميذه ومريديه، وأخذ يلقي دروسه فيه.

ونتيجة لهذه الجهود المخلصة تكوّن في البلاد رأي عام أخذ صوته يرتفع، ويزداد ارتفاعاً مع تكثيف جهود المجاهدين

من العلماء ، فاجتمع نفر منهم وكوّنوا وفداً قدم « دفتر مطالب الشعب المغربي » لملك البلاد وللإدارة الفرنسية سنة ١٩٣٤ م ، وبعد ذلك بقليل اجتمع هذا الوفد وأطلق على تنظيمه إسم « كتلة العمل الوطني » ونشطت هذه الكتلة في رصّ صفوفها وفي تنظيم أعضائها في خلايا عاملة ، وأخذت برفع صوتها بالمطالب الوطنية العادلة .

وكان ذروة هذا النشاط عام ١٩٣٦ م ، إذ أخذت الكتلة تعقد المؤتمرات ، وتقيم التجمعات الشعبية ، وأخذت تلح على مطالبها الوطنية ، وتركز على كشف الأستار المسدلة على جرائم المستعمرين بحق العباد والبلاد ، فكان لكل هذا أثره الكبير في إيقاظ الجماهير المغربية وفي بعث روح الجهاد فيها ، وفي توجيهها نحو العمل الجاد المنظم .

وكان قمة العمل العلني الذي قادته هذه الكتلة ذلك الاجتماع الحاشد الذي دعت إليه في الدار البيضاء ، فبادرت الإدارة الفرنسية إلى تطويق الإجتماع بجيشها ، واعتقلت قادة الكتلة الوطنية وعلى رأسهم علال الفاسي ، فانفجرت البلاد بمظاهرات غاضبة تطالب بإطلاق سراح المعتقلين وتحقيق المطالب العادلة للشعب المغربي .

أفرجت السلطة الفرنسية عن المجاهد الكبير بعد شهر من اعتقاله ، فعاد لنشاطه باندفاع وحماس ويقين ، وردَّ على إجراء الفرنسيين بحظر نشاط كتلة العمل الوطني بإنشاء الحزب الوطني برئاسته ، فازداد الناس إقبالاً على العمل الوطني ، ووضعوا ثقتهم كاملة بالمجاهد الكبير .

ضاقت الإدارة الفرنسية بعلال ونشاطه ، فاعتقلته سنة ١٩٣٧ م بعد أشهر معدودات من اعتقاله السابق ، ونفته إلى الجابون في إفريقيا الإستوائية ، واستمر نفيه تسع سنوات ، كان فيها دائم الاتصال برجال حزبه وبالمجاهدين في بلاده ، لا يخفى عليه شيء من أمر البلاد وحاكميها الظالمين ، وكان من نتيجة هذا الاتصال أن تجمع لديه معلومات واسعة عن الوضع في بلاده وفي فرنسا ، فتقدم من منفاه بطلب استقلال المغرب وقدمه إلى الحكومة الفرنسية التي كانت تطلق على نفسها حكومة فرنسا الحرّة !

عاد من منفاه في الجابون إلى بلاده العزيزة على قلبه ، وما زاد النفي الطويل على أن جعله أكثر إيماناً بقضية بلاده ، فأعاد تنظيم حزبه المحظور تحت اسم جديد هو « حزب الاستقلال » ، وبذلك أعلن الهدف الرئيسي الذي يسعى إليه في هذه الفترة وهو استقلال المغرب عن فرنسا كخطوة

نحو عودة المغرب إلى الصف الإسلامي.

ونشط المجاهد الكبير في رقعة أوسع من وطنه عندما رأى أن يقوم بجولات في أوروبا والعالم الإسلامي يدعو لاستقلال بلاده ويشرح قضيتها للعالم، ويطلب مساعدة إخوانه المسلمين، وكانت الجامعة العربية قد ولدت، فاتصل بها، ودعاها لتؤدي واجبها نحو المغرب، الجوهرة الجميلة في عقد الدول العربية المسلمة.

بعد هذه الجولات التي امتدت سنوات عاد عام ١٩٤٨ إلى طنجة ذات الإدارة المستقلة آنذاك، ومنها أخذ يوجه حزب الاستقلال في جهاده ضد الفرنسيين.

ثم عاد فجال جولة أخرى في البلاد العربية فشرح الوضع في المغرب وبين خطورة المؤامرات التي تدبرها فرنسا للمغرب وبخاصة تلك المؤامرات الموجهة لعقيدة الأمة ولغتها، وأخذ يكتب في الصحف والمجلات شارحاً القضية لشعوب المسلمين، مناشداً كل ذي عاطفة إسلامية أن يهبّ لنجدة إخوانه في المغرب، فكان لجولاته وكتاباته أثر كبير في تعريف الشعوب الإسلامية بقضية المغرب، وفي وقفتها الصادقة مع شعبه المجاهد.

استمر جهاد الزعيم الكبير سلمياً حتى هذه الفترة ، ولكنه كان أثناءها يعد العدة للوثبة المسلحة ، وعندما أقدمت فرنسا على اعتقال الملك محمد الخامس أصدر فوراً « نداء القاهرة » وفيه أعلن الجهاد المسلح ضد الاحتلال الفرنسي ، وأشرف بنفسه على إعداد جيش التحرير وعلى تزويده بالسلاح .

وأتبع المجاهد الكبير إعلان الجهاد بجولة واسعة على دول العالم ليشرح لهم تطورات الموقف في المغرب ، والهدف من وراء إعلان الجهاد المسلح ، وبقي المجاهد الكبير ملاحقاً من الحكومة الفرنسية ، وظل هو نشطاً في إذكاء روح الجهاد في أبناء المغرب ، وفي دفعهم للالتحاق بجيش التحرير والمقاومة الشعبية ، وظل مثابراً على توجيه المجاهدين إلى أن تحقق النصر ، وأعلن استقلال المغرب ، وعاد إلى الوطن ، فاستقبله الناس استقبال الفاتحين .

لم ينته الجهاد بانتهاء الاحتلال ، لذا فقد باشر علال فور وصوله إلى البلاد في تنظيم حزب الاستقلال ليمضي في جهاده لبناء المغرب المستقل على أسس العقيدة التي يؤمن بأن لا صلاح لأمته ووطنه إلا بها ، ورغم الهزات المتكررة التي تعرض لها حزب الاستقلال نتيجة لتباين وجهات النظر في العمل في مرحلة ما بعد الاستقلال إلا أن شخصية هذا الزعيم المجاهد

كانت دائماً هي الضمان الوحيد لاستمرار الحزب وتماسكه .

وعندما أسس الملك محمد الخامس المجلس التأسيسي ليضع دستوراً للبلاد عام ١٩٦٠ م كان من الطبيعي أن يختار لرئاسة هذا المجلس زعيم الجهاد المغربي علال الفاسي ، ورغم أن هذا المجلس لم ينجح لأسباب سياسية ، فإن بصمات علال بقيت ظاهرة التأثير في كل دراسة لوضع دستور للمغرب ، وكان الدستور الذي وضع عام ١٩٦٢ م يحمل بين طياته أفكار علال وآراءه .

لقد كان لمساهمة هذا المجاهد الكبير في وزارات الدولة وفي مجالسها النيابية أثره في إصدار تشريعات في صالح الأمة ومن أجل تقدمها وازدهارها .

وبقي علال رئيساً لحزب الإستقلال ، ينتخب بإجماع الأصوات في كل مؤتمر يعقده الحزب لهذه الغاية .

ولا يفوتنا أن نؤكد بأن جهاد علال الفاسي لم يقتصر على المغرب وحده ،وإنما تعداه إلى سواه ، فشارك في مجالات وطنية وإسلامية كثيرة ، فقد اختير عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وفي المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهذا دليل على ما يتمتع به علال من ثقة القائمين على حفظ اللغة العربية

وآدابها ، ودليل على تمكنه في مجالي اللغة والأدب ، ويؤكد هذه الثقة أيضاً انتخابه رئيساً لهيئة دائرة معارف المغرب العربي (القسم المغربي) .

وبقي المجاهد الكبير يعمل من أجل وطنه الصغير المغرب ، ومن أجل وطنه الأكبر الذي يضم كل رقعة في العالم ارتفع فيها نداء التوحيد الخالد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ونداء الجهاد الأكبر : الله أكبر ، إلى أن وافاه الأجل المكتوب ، وذهب للقاء ربه عام ١٩٧٤ م ، رحمه الله وغفر له .

مؤلفاته :

ألف المجاهد الكبير باللغتين العربية والفرنسية ، ولاقت كتبه اهتماماً بالغاً في الأوساط العلمية وفي أوساط المثقفين في العالم الإسلامي الكبير ، وتناول العلماء والكتّاب هذه المؤلفات بالتعليق والتحليل والتقريظ في اللغات العربية والفرنسية والانجليزية .

وهذه المؤلفات هي :

١ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها .

٢ ـ دفاع عن الشريعة .

٣ ـ عقيدة وجهاد .

٤ ـ النقد الذاتي .

٥ ـ الحركات الاستقلالية في المغرب العربي .

٦ ـ نداء القاهرة .

٧ ـ حديث المغرب في المشرق .

٨ ـ المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم .

٩ ـ الحماية الإسبانية في المغرب من الوجهة التاريخية والقانونية .

١٠ ـ منهج الاستقلالية .

١١ ـ معركة اليوم والغد .

١٢ ـ دائماً مع الشعب .

١٣ ـ دفاعاً عن وحدة البلاد .

١٤ ـ كي لا ننسى .

١٥ ـ الحقيقة عن الحدود المغربية (بالفرنسية) .

١٦ ـ الكتاب الأحمر (بالفرنسية) .

١٧ ـ المختار من شعر علال الفاسي ، وهو مجموعة مختارة من شعره أعدته وأشرفت على طباعته اللجنة الثقافية لحزب الاستقلال ، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٦ م .

١٨ ـ المثل الأعلى في الصدق والثبات وحسن الإنابة ، وهي قصة شعرية مقتبسة من حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وقدم لها بمقدمة طويلة حلل فيها مواقف

هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد طبعت مرتين الأولى سنة ١٣٥٠ هـ والثانية سنة ١٣٨٠ هـ .

١٩ ـ الأنسية المغربية ، وهي محاضرة ألقاها الزعيم المجاهد في مؤتمر الاتحاد العام لطلبة المغرب المنعقد سنة ١٩٧٠ ، وفيها ناقش مفهوم الأنسية عند الغرب ، ثم ناقش مفهوم الأنسية الإسلامية ، ثم أكد أن لكل أمة ولكل شعب أنسية ، ومن هذا المفهوم تحدث عن الأنسية المغربية .

فالمفهوم العام للأنسية في الغرب هو « مجموع العقائد الأدبية والفنية التي كان يدعو لها إنسانيو النهضة »(١) وهي « ثقافة الروح والفكر التي تنشأ عن ممارسة الآداب الأصيلة ، والتذوق الذي يحصل من هذه الممارسة »(٢) .

وتستطيع أن تجد الأنسية المسلمة « في تصور الإسلام للحياة والعلاقة التي للإنسان بها ، والغاية التي ترمي إليها حياة الإنسان الدنيوية ، والعقائد والمبادىء والأفكار التي هي قوام المنهج الحضاري الذي يسير عليه الإنسان في علاقته بربه وبنفسه وبأسرته وبالناس وبالكون أجمع وفي النظام الاجتماعي الذي تقوم عليه حياة الجماعة

---

(١) ، (٢)الأنسية المغربية ص ٣ .

المسلمة »[1] .

٢٠ ـ يعتبر المنشور من شعر علال الفاسي أقله ، ونحن نأمل أن تتم اللجنة الثقافية لحزب الاستقلال المهمة التي بدأتها ، فتجمع وتنشر ما بقي من شعره ، فهو ثروة ليس للمغرب وحده وإنما لكل مسلم يعتز بهذا الدين الذي نذر مجاهدنا الكبير حياته من أجله .

شعره :

بدأ علال الفاسي شاعراً ، واستمر يقول الشعر طوال حياته ، تهزه الأحداث الوطنية والمناسبات الإسلامية ، وطابع التوجيه والتربية بارز في شعره ، ولا عجب في هذا ، فعلال الفاسي قائد مجاهد ومفكر واعٍ ومربٍّ فاضل وسياسي بارز ، لذا فإن دارس شعره لا يعثر فيه على الألفاظ القاموسية والخيال الهائم ، فهو يعمد إلى فكرته فيصوغها بألفاظ قريبة إلى أذهان الجماهير التي يخاطبها ، ويؤديها بأسلوب يحقق له ما يهدف إليه من وراء صياغة فكرته شعراً ، لذا فإننا نستطيع أن نقول بأن شاعرنا شاعر مضمونٍ أولاً ، يوليه إهتماماً بالغاً ، ويكرس الأسلوب لخدمته ويطوع الألفاظ لإبرازه ، وهكذا كل صاحب فكرة يريدها أن تصل إلى الناس بسهولة ويسر ، وهكذا صاحب

(١) الأنسية المغربية ص ٨ ، ٩ .

القضية الوطنية يريد أن يجمع حولها جماهير المؤيدين ، وجماهير الناس لا تحتمل تعقيدات اللغة ولا تستسيغ إيحاءات البلاغة .

وقد أثر اهتمامه البالغ بالمضمون على شكل القصيدة ، فتجاوز في كثير من قصائده الوزن والقافية محافظاً فقط على دفق الكلمات بنظام موسيقي لا يتبع بالضرورة موسيقى وأوزان الخليل .

ويستطيع الدارس لشعر علال أن يتناوله في موضوعين رئيسيين ، الموضوع الأول : هو القضية الوطنية المغربية ، وفي هذا الجانب تجد الأحداث السياسية وقضايا الجهاد ومشاكل المواطنين والمعالم البارزة للمغرب كلها لها نصيب من شعره ، والأحداث التي كونت حياته والعقبات التي اعترضت طريقه وكل ما أصابه من المستعمرين لبلاده نجد له مكاناً في شعره ، والحديث عن حياته في شعره إنما هو حديث عن المغرب ، ذلك لأن حياة علال جزء من تاريخ المغرب الحديث .

والموضوع الثاني الذي نجده في شعر علال هو قضايا العالم الإسلامي ، وهذا أمر طبيعي إذا عرفنا أن علالاً كان يعتبر الحل الإسلامي لقضية بلاده هو الحل الأمثل ، وأن المغرب جزء من العالم الإسلامي لا انفصام له عنه .

فتح شاعرنا عينيه على مغرب يستغله الفرنسيون ويسومون أهله كل أنواع الذل والهوان، فطوى وهو في سن الخامسة عشرة عهد اللهو واللعب، وشمر عن ساق الجد والعمل، وكيف يلهو ويلعب وهو يرى بلده في قيد الاستعمار وقومه في ذل العبودية وظلام الجهل؟، لقد هب علال للجهاد وهو صغير السن ولكنه عالي الهمة ماضي العزيمة، وهذا النموذج من شباب الإسلام نقدمه لشبابنا اليوم ونحن نراهم يركضون وراء لهوهم ولعبهم ومن حولهم تتواثب مشكلات أوطانهم وأمتهم وكأنها شيء لا يهمهم ولا يعنيهم.

يقول علال في قصيدة «سيعرفني قومي»[1] التي قالها سنة ١٩٢٧ وهو في السابعة عشرة:

أبعد مرور الخمس عشرة ألعب
وألهو بلذات الحياة وأطرب
ولي نظر عال ونفس أبية
مقاماً على هام المجرة تطلب
وعندي آمال أريد بلوغها
تضيع إذا لاعبت دهري وتذهب

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ٨٧.

ولي أمـة منكـودة الحظ لم تجـد
سبيـلاً إلى العيش الذي تتطلـب
قضيـت عليهـا زهر عمـري تحسـراً
فما سَاغ لي طعم ولا لـذّ مشرب
ولا زاق لي نوم وإن نمْت ساعة
فـإني على جمر الغضـا أتقلب

طاردته الإدارة الفرنسية ، فهاجر إلى أوروبا هجرته الأولى ، فقال قصيدة « ذكريات وعهود »[1] ، يؤكد فيها استمراره في الجهاد من أجل المغرب ، ويهزأ بكل المؤامرات التي تدبرها له الإدارة المستعمرة ، ويستهين بكل الصعاب التي تكتنف طريق جهاده الطويل :

أنا الوفيُّ لشعبي والمدافـع عـن
قومي بكل يـد عنـدي وعرفـان
لا يحسب القوم أن النفـي يرجعـني
عن مبدإ حل في روحـي وجثمـاني
أو أنّ عزمي يهوي من مؤامرة
قد دبرت من فرنـسي وإسبـاني

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ١٧ .

ما النفي ؟ ما السجن ؟ بل ما الموت في وطنٍ
ما زلت أرعاه إخلاصاً ويرعاني

وتعبر قصيدة « في المغرب العزيز »[1] التي قالها في المنفى، أجمل ما في المختارات التي بأيدينا، وأقواها من حيث الصياغة الفنية والفن الشعري، وأكثرها تعبيراً عن الحب الشديد الذي يملأ قلب الشاعر للمغرب، ولكل ما ضمه المغرب من رجال ونساء، وطوائف وفئات، وجبال ووهاد، وسهول وبحار، وتلال وأنهار، وأشجار وثمار، وأرض وسماء، وطير وحيوان ...

وهذا مقطع منها يعبر فيه عن حنينه وشوقه للبلاد الحبيبة التي أُخرج منها قسراً، وأجبر على الابتعاد عن مرابعها :

بكل مكان من بلادي جنة
تخال جمال الكون منها تولدا
لقد كانت الفردوس لي غير أنني
فقدت بها وعد البقاء مخلدا
وأُهبطت منها مثل آدم حينما
أصاب ضراراً في الجنان وحسدا

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ٧١ .

فسقيــاً لأعــوام مضين بربعهــــــا
كما يبصر الإنســان حلمــاً مبددا
وسقيــاً لأحباب ثــووا برحابهــــا
ونالتهم فيهــا السعادة سرمـــــدا
وسقيــاً لإخــوان نعمت بحبهـــــم
وكنت لهم ذاك الأخ المتـــوددا

وعندما هبت قبيلة « أبناء خليفة » للدفاع عن أرضها التي حاول المعتدون المحتمون بسيف الحاكم اغتصابها منهم ، هب علال الفاسي يدافع عنهم ، ويحيي رجولتهم بدفاعهم عن حقهم ، وقال في هذا الحادث قصيدة بعنوان « رسالة من أولاد خليفة »[1] منشورة في المختارات ، كما نشرت نفس القصيدة بكتيّب منفرد بعنوان « ليست الأرض لمن يغصبها ، إنما الأرض لمن يحرثها » ، نقتطف منها المقطع التالي :

وأتى الحاكم يحمي
غاصب الأرض بجند
وسلاح وقنابل
تضرب العزل من غير خناجر

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ١٤١ .

والدي صاح ،
وكل الناس صاحوا :
أرضنا لن تأخذوها
اقتلونا ودعوها
إنما الأرض لمن يحرثها .
ليست الأرض لمن يغصبها
ليست الأرض لمن ينزفها

وكان شاعرنا مهتماً أشد ما يكون الاهتمام بالفلاحين في بلاده ،وله غير هذه القصيدة قصائد يشيد فيها بما يقدمه الفلاح من تضحيات في سبيل بلاده ، وقد كرّم شاعرنا الفلاح بقصيدته « الفلاح المغربي »[1] واعتبره سيد البلاد ، وأبدى أساه لما يلاقيه الفلاح من إهمال الحكام واعتدائهم على أرضه وحقوقه :

سيد الشعب والبلاد المفدى
صار من كثرة التعاسة عبدا
جهل الشعب قيمة الزارع الكبـ
ـرى ، فلم يوله اهتماماً وعدا
هو روح الحياة للشعب طرا
ليس يحيا سواه إن هو أودى

---

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ١٦٣ .

ليس في الشعب من يضحـــي لخيـــ
ـر الشعب مثـل الفـلاح مهما أجدا
طالمـا ذبّ عن حمى الوطن الغـــا
لي وأولى بنيـــه عيشــاً وخلـدا
ليت إخوانـــه يذودون عنـــــه
فيـــؤدون بعض مـــا كان أدى

وكان شاعرنا واثقاً من عودة الشعب الفلسطيني لأرضه ووطنه اطمئناناً منه إلى أن عملية اغتصاب فلسطين عملية شاذة لا يمكن أن تدوم ، وثقة منه بنهضة المسلمين ويقظتهم من رقدتهم الحاضرة ، ذلك لأن طبيعة دينهم تأبى عليهم الاستسلام للذل والهوان ، وقد عبر عن هذا الرأي في قصيدة له بعنوان « فلسطين »[1] مطلعها :

ماذا أطيـــق من البيـــان الخـــالد
عـــن ذب شعب لا محالـــة عائـــد

وللشاعر أكثر من قصيدة في فلسطين ، وله قصائد في قضايا العالم الإسلامي وقضايا المسلمين ، تجدها فيما طبع من شعره وفي شعره المنشور في الصحف والمجلات ، وفي القسم الذي لا يزال مخطوطاً ينتظر الطبع .

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ١٥٩ .

وكان علال ينفر نفوراً شديداً من الحكام الظالمين، يضيق بهم. ويحاربهم بسيفه وقلمه. وقد صور طغيان الحاكمين ومحاربتهم للفكر المستنير، وبين أن الإرهاب الفكري لا يجدي، وأن الظالمين مهما تجبروا فإن النصر في النهاية للفكر الحق الذي يحمل للبشر حريتهم وسعادتهم:

يقول في قصيدة «أوامر المنفى»[1]:

كذلك شـاء الحـاكمون بأمرهـم
وكان عـذاب الحاكمـين غرامـا
نعم حكموا هاتي الجسوم وآلمـوا
وكانت جسوم العالمـين حطامـا
فهـل قدروا أن يحكموا الفكر والهوى
ولا يتركوا الإيمان حيـث أقامـا
إذن فليمدوا كـل ما شاء غيهـم
فإني أرى النصر المبين ختامـا

ومن المناسبات الإسلامية التي أولاها شاعرنا اهتماماً كبيراً ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم[2]، نورد ههنا مقطعاً من قصيدته التي قالها بهذه المناسبة الجليلة

---

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ١٨٣.
(٢) المختار من شعر علال الفاسي ص ١٨٥.

يتحدث فيه عن ليلة القدر المباركة :

يا ليلة القــدر التي شرفت بـــه
وسمت عـلى ألف الشهـور تنزلا
فيـك الحضارة كلها قد جمعـت
وبـك الهنـا للعالمـين تأثـــلا
إنا لنحيـي فيـك ميـلاد السنـــا
والمجد والعرفـان يوم تأصـــلا
إنا لنحيي فيك إيمـان الـورى
بالله ، والإنســـان يوم تحمـــلا
إنا لنحيي لحظــة الأنس السعيـ
ـدة في حــراء وسرها المتنقـــلا
ذكـــرى نزول الـوحي في أرجائـه
ومحمــد يصغـي لما قـد أنــزلا
وإذا بدنيانـــا حــراء كلهـــا
وكـأن جبريـــلاً يـردد ما تـلا
وكأننا من حول أحمــــد خشَّـــع
جمـع الزمان به ، فيا ما أجمـلا

وهناك جانب آخر هام في شعر علال لا يقل أهمية عما قدمنا من الجوانب ، ذلك الجانب هو شعر الحكمة ، وليس

عجيباً أن يقول علال في الحكمة ، فإن له من تجارب الحياة ومعاناة لأوائها ما يمكنه من استخلاص الحكمة وصياغتها بأسلوب جميل .

وبالإضافة إلى أبيات الحكمة المباشرة فإنه أيضاً عمد إلى الأساطير المغربية فصاغها شعراً ، وهو يهدف من ذلك إلى استخلاص العبرة والحكمة منها ، ومن أمثلة ذلك قصيدتا « الجني وولده » و« النمرود والشيطان » ، وهما في المختار من شعره .

وهذه أمثلة من رباعياته في الحكمة :

قال في المثل الأعلى :

من يطلب الحج للبيت الحرام فلا
يشكو العناء الذي يلقاه في السفر
كذلك المثل الأعلى فخادمه
لا يشتكي ما يقاسيه من الضرر

وقال في زرع الأفكار :

من يزرع البذر في أرض يكدُّ لها
ويصبر النفس في الأوحال والمطر
كذاك من يزرع الأفكار في وطنٍ
لا بد يصبر للأهوال والغير

وقال في الإيمان بالمبدأ :

من شام نوراً وقدمـاً كان يطلبـه
فليس يلويـه عنـه أي مقتسر
كذاك من نال إيمانـاً بمبدئـه
فليس يعرف معنى الضعف والخور

مختاراتنا من شعره :

١ ـ أغنية من الباطن ، وهذه الأغنية شكاة وزفرات ينفثها شاعرنا من أعماقه ، وثورة بركانية يطلقها على نفر من أبناء المغرب والوا الأجنبي المحتل ، واستمرأوا الذل والهوان ، وتوطنت في أعماقهم الهزيمة النفسية ، فجعلت منهم إمَّعات وأشباها ، رضوا بأن يكونوا من الأتباع الأذلة الذين لا يرون إلا ما يراه السادة الحاكمون .

وهذه الصيحات التي يطلقها شاعرنا في وجه هذه الفئة تعري تبعيتها ، وتكشف انفصالهم عن الأمة وانفصامهم عن معتقداتها .

فهذه الفئة من الناس هجرت لغتها وفتنت بلغة الفاتحين ، فأصبح لسانها غريباً في وطنها وعن أمتها .

وهي أيضاً رضيت بحكم الأجنبي لبلادها وتخلت عن فكرة التحرير ، فانساقت وراء ما يريده المحتلون ، وبررت

انسياقها بأسماء براقة من التقنية والتحرر والتقدمية ...

ورضيت هذه الفئة أيضاً أن تكون سيفاً مسلطاً على كل ما من شأنه أن يؤكد شخصية الأمة ويبعث فيها روح المقاومة للمعتدين ، فحاربت دين الأمة الذي به تؤمن وإليه تحتكم ، وزرعت في البلاد مقابل ذلك قوانين المستعمرين وأحكامهم وتشريعاتهم ، وقاومت المعاهد الإسلامية وبخاصة جامعة القرويين التي تحافظ على كيان الأمة بالمحافظة على دينها ولغتها وتاريخها ، ونشرت مقابل ذلك مدارس التبشير وشجعت المذاهب المنحرفة التي تدين بالولاء للمحتلين كالبهائية .

وأخيراً فإن شاعرنا ينفي أن تكون هذه الطائفة من الناس ذات انتماء قومي مغربي وديني إسلامي ، ويصفها بالخروج عن الأمة ، ويعتبرها عدو مع الأعداء ، ويدعو إلى نبذها ومقاطعتها .

ونود أن ننبه إلى أن هذا اللون من البشر الذي قدم لنا شاعرنا صورة عنه موجود في كل الأقطار التي ابتليت بالاستعمار .

٢ ـ أزهار سعيدة إلى روح الشهيد أحمد بيلو : منذ الضربة القاسية التي أنزلها التحالف الصليبي اليهودي بالمسلمين بالقضاء على الخلافة العثمانية ، وتجزئة الدولة الإسلامية إلى دويلات ،

واقتسام هذه الدويلات بين الدول النصرانية واليهود ، والمحاولات لإقالة هذه الكبوة والنهوض من هذه السقطة لا تهدأ ولا تفتر في صفوف الغيورين من المسلمين ، وعلى الرغم من هول النكبة وعظم المصيبة التي أفقدت الغالبية من أبناء المسلمين توازنهم ، إلا أن نفراً من علماء المسلمين تماسكوا أمام الضربة وصمدوا لها ، ثم انطلقوا يقاومونها .

وتعددت أساليب المقاومة ، فنفر من المسلمين اتخذ جانب البعث الفكري ، وآخرون جانب البعث الإجتماعي والتوجيه السياسي ... ، واستمرت هذه الحركات نصف قرن تجاهد كل ما اخترعه المستعمرون من أساليب ووسائل للقضاء على الإسلام كعقيدة وعلى المسلمين كأمة .

وكانت نتائج هذا الجهاد أن صحا قسم كبير من المسلمين على واقعهم ، وتبين لهم أن لا نجاة لهم إلا بالإسلام ، ولا منقذ لهم من الضياع إلا بالرجوع إلى ما أمر به الله ، وفي بعض الأحيان تجاوزت جهود المصلحين المجاهدين حدود المسلمين لتؤثر ببطء في أوروبا وأمريكا وبسرعة في إفريقيا حتى أصبحت القارة الإفريقية قارة إسلامية في غالبيتها ، ولولا ثراء الأعداء وقوتهم العسكرية وتقدمهم المادي ما رأينا في إفريقيا اليوم شخصاً واحداً يدين بغير الإسلام .

هذه الجهود وهذا الجهاد قام به علماء أعلام وقادة أفذاذ نذروا حياتهم لخدمة الإسلام دين الله الخالد ، وعلى رأس هؤلاء المجاهدين العالم الجليل والمجاهد الشهيد والسياسي الإسلامي الحاج أحمد بيلو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية رحمه الله وجزاه عن دينه خير الجزاء .

وحياة أحمد بيلو[1] صفحة من صفحات الجهاد الإسلامي المعاصر ، نستطيع أن نرى فيها تاريخ الإسلام في العصر الحديث ، وثبات هذا الدين أمام كل الدعوات والهجمات ، وفيها أيضاً صورة كئيبة قاتمة عن عداء الصليبية الدفين لكل من أخلص لله ولرسوله ، فقد صب هؤلاء الحاقدون حقدهم برصاصات أفرغوها في جسد الشهيد العظيم ، وفي أجساد كل أفراد أسرته من نساء وأطفال ، ظناً منهم أنهم بالقضاء على هذه الشجرة التي جذرها أحمد بيلو سيقضون على صوت الإسلام الداوي ودعوته النافذة ، وهيهات هيهات ... ، فالله قد وعد أن يتم نوره ولو كره الكافرون ... ، ولو علم هؤلاء الذين أعماهم الحقد أن الشهادة أمنية كل مجاهد لما أهدوها لأحمد بيلو ولإخوانه من المجاهدين .

---

(١) للإطلاع على سيرة الشهيد أحمد بيلو يراجع ما كتبه بنفسه في كتابه « حياتي » وهو من منشورات الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة .

٣ ـ اضطهاد لغة القرآن : اقتضى الهجوم الذي شنته الصليبية وحلفاؤها على الإسلام ، الهجوم على اللغة العربية لأنها لغة هذا الدين ، ولعل اختيار شاعرنا لهذا العنوان « اضطهاد لغة القرآن » إيماء لهذا المعنى ، فأعداؤنا ركزوا هجومهم على اللغة العربية إدراكاً منهم أنّ القرآن الكريم لا تمكن قراءته إذا استطاعوا القضاء على العربية ، والحقيقة التي نريد أن نؤكدها هنا أن الله تكفل بحفظ هذه اللغة لأنه تكفل أساساً بحفظ القرآن الكريم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[1] .

وعندما رأى المخلصون من أبناء الأمة هذا الهجوم المسعور على لغتهم هبوا للدفاع عنها ، وحمايتها من المكائد التي تدبر لها بالسرِّ والعلن وبالليل والنهار ، وأخذ المخلصون من الشعراء دورهم في الرد على المهاجمين ، فقال الشاعر حافظ إبراهيم قصيدته المشهورة التي مطلعها[2] :

رجعــت لنفسي فــاتهمت حصـــاتي
وناديت قــومي فــاحتسبت حيــاتي

(١) الآية التاسعة من سورة الحجر .
(٢) ديوانه ج ١ ص ٢٥٣ .

وفيها يقول :

وسعت كتاب الله لفظاً وغايـــــــة
وما ضقت عـــن آي بـــه وعظـــات
فكيف أضيق اليـــوم عن وصف آلـــة
وتنسيـــق أسماءٍ لمخـــــترعـــات
أنا البحـــر في أحشائه الدر كامـــــن
فهـــل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟

وقال الشاعر عبد الرحيم محمود يحث على التمسك باللغة التي يشن عليها المستعمرون حرباً مقنعة بحسن النوايا[1] :

لا تأمنـــوا المستعمرين فكـــم لهـــم
حرب تقنع وجههـــــا بســـــلام
حرب على لغة البـــلاد وأرضهـــــا
ليست تُشن بمدفـــــع وحســـــام
والشعب إن سلمت له أوطانـــه
ولسانه ، لم يخش قطـــع الهـــام

ويحث إبراهيم طوقان قومه على الحفاظ على لغتهم لأن الشعب الذي يحافظ على لغته حية لا بد له يوماً أن يتغلب

(١) ديوانه ص ١٥١ .

على مستعمريه وينال حريته ، لأن حفاظه على لغته دليل على أصالته وحيويته[1] :

إذا لغة عزت ـ وإن ضيم أهلها ـ
فقد أوشك استقلالهم أن يوطَّدَا

ويقول أبو الفضل الوليد معبراً عن شدة تعلقه باللغة العربية :

كفاها أنها الله اصطفاها
لقرآن تبلج كالصباح
طربت لسمعها طفلاً وإني
لتطربني وقبري لانفتاح

وفي قصيدة شاعرنا علال الفاسي كثير من المواقف التي تسترعي الانتباه وتستحق التعليق فالهجمة على اللغة العربية يقودها الاستعمار ، وهي في المغرب أشد منها في المشرق ، ذلك لأن الاستعمار في المغرب فرض لغته على الناس وحرّم عليهم لغتهم ، فالعودة إلى اللغة العربية هناك مطلب وطني وواجب إسلامي ، لأنه يعتبر انتصاراً على المستعمرين ، بالإضافة إلى ضرورة اللغة من الوجهة النفسية والناحية الدينية لأمة تنتسب إلى الإسلام وكتابه العربي « إنا أنزلناه قرآنا عربياً

---

(١) ديوانه ص ١٠٧ .

لعلكم تعقلون »[1] .

ووقفة أخرى مع علال وقصيدته هذه حيث يطلعنا على أن الحكومات التي خلفت الاستعمار تباطأ بعضها في نشر اللغة العربية وبقي على استعماله للغة المستعمرين ، فشنَّ عليهم هجوماً قاسياً ، ودعاهم للخضوع لإرادة الأمة التي تريد الإسراع في العودة لأصولها .

ومصيبة أمتنا ببعض حكوماتها مصيبة تربو على مصيبتها بالاستعمار ، فالاستعمار لم يستطع أن يُغير على حروف اللغة العربية فيغيرها كما فعلت بعض الدول التي أجبرت شعبها على كتابة لغته بحروف الاستعمار الصليبي ، فأصبحت هذه الشعوب تقوم وتنام وصورة الاستعمار ماثلة أمامها في كل لحظة وفي كل مكان ، ولست أدري كيف تكون دولة عضواً في جامعة الدول « العربية » ولا تستعمل حروف اللغة « العربية » .

أليس هذا من البلاء ؟ !

---

(١) الآية الثانية من سورة يوسف .

أغنية من الباطرة[1]

قولوا لنا :
هل أنتم من قومنا ؟
من شعبنا ، من أرضنا ؟
قولوا لنا :
هل أنتم من ديننا ؟
من جنسنا ، من أهلنا ؟
أم أنتم الإفرنج من أبناء غال ؟
وتراثكم من غيرنا ؟
قولوا لنا :
إن كنتم من قومنا ، فعلام لا ترضون أن تتكلموا بلساننا؟
وعلام في كل المجالس تنطقون
تتحدثون وتدرسون وتكتبون

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ٤١ .

كأعاجم لا يعرفون من الكلام
سوى لغات الفاتحين ؟
وتفرنسون شبابنا وبرامج التعليم
ومناهج التفكير والأبحاث والتدوين
وعلام لا ترضون بالعربية الفصحى
لغة الإدارة والدراسة والشؤون
قولوا لنا :
مع ذاك هل أنتم لنا
من قومنا ؟
قولوا لنا :

* * *

إن كنتم من شعبنا فعلام لا تتحررون ؟
تتحالفون مع الأجانب في ابتزاز متاعنا ، أموالنا ، خيراتنا
وتدافعون عن الرواسب ، رأس مال الأجنبي ،
وتفضلون تراثه ورجاله ومعلميه
وتخلدون الهينمات الأجنبية ، والتسلط باسم ما تدعونه بالتقنية
تتحالفون لأنكم تخشون شعباً أنتم منه !

كذلك تدعون !
قولوا لنا ، مع ذاك ، هل أنتم لنا ، من شعبنا ؟
قولوا لنا .

* * *

إن كنتم من أرضنا ، فعلام لا تستعجلون
ردّ الأراضي من يد المستعمرين
وعلام لا تستعجلون خروج جيش الأجنبي
وتحررون قواعد الوطن العزيز
قولوا لنا :
هل أنتم من قومنا ، من شعبنا ، من أرضنا ؟
قولوا لنا :
إن كنتم من أرضنا فعلام لا تتقدمون ، وتنظمون نضالنا
لنردّ ما أخذوه من أقطارنا ، صحرائنا ..
ولنخرج الإسبان من تلك المدائن : سبتة ومليلة ومن العيون
ولنسترد لأرضنا وادي الذهب
ومن الجيوب لدى الشمال وفي الجنوب
مع ذاك ، هل أنتم لنا ؟
من أرضنا ؟

* * *

قولوا لنا :
إن كنتم من ديننا ، فعلام لا تتحاكمون إلى شريعة ديننا؟
وتفضلون الأجنبي إذا تشرع أو حكم ؟
وتقاومون معاهد الإسلام
وعلومه ، وثقافة الإسلام في أسمى أصالة
وتراثنا السامي ، وجامعة بناها الأولون ،
وتتابعت في رفع رايتها القرون
وتفجرت منها العلوم
وتشجعون مدارس التبشير والتنصير
ومعاهد المتهودين
ومراكز البعثات
وتسامحون مبشري الزيغ الجديد
زيغ البهائية الحقود
حلف الصهاينة الكنود
مع ذلك هل أنتم لنا ، من ديننا ؟
قولوا لنا :
هل أنتم من ديننا ، من قومنا ، من شعبنا ، من أرضنا؟
قولوا لنا .

أزهار سعيدة[1]

إلى روح الشهيد أحمد بيلو

يا رائداً في عالم الظلم المخيم والظلام
يا ناشراً نور الحقيقة بين أشباه الأنام
يا من ترفع من عوالم لا تمتُّ إلى رؤاه
يا من يحلق في فضاء لا نهاية في سماه .
قف ، ها هنا الدرب المضلل
ها هنا علم الحواة
ماذا تريد من الحياة ؟
أليس أن تهب الحياة ؟
أسمعت أنات الشعوب
تضيق بالقوم الجفاة
رددت أصداء الشكاة
تدوسها قدم العتاة

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ٨٩ .

حطمت أقلام البغاة
فهل يلين لك القساة
يا قاهر العملاء
عُبّاد الدخيل
مقدسي النزلاء
يا رافعاً علم الحقيقة عند من قتلوها
قف ، ها هنا غار الأفاعي
ها هنا من درّبوها
من أطلقوها
يا ناسكاً في صمته
ومعلماً في نطقه
ومسيراً في نهجه
يا داعياً للجد في دنيا اللعب
دنيا الصغار
تقمصوا جلد الكبار
دنيا القطوط
تقمصوا ثوب الأسد
ويجيب بيلو ، صوت إفريقيا
وصوت المؤمنين

ويجيب من أعلى : عرفت مسيرتي ،
أنا سابح في الغيس
في الحمإ الشنيع ، وفي الدماء ، وفي الدموع
دعني أعم في الطين ، في بحز الجراثيم .
دعني أسر ، فهناك في أقصى الطريق
من بعد وادي الغيس
من بعد ضايات الأفاعي
من بعد دارات الحواة
من بعد آلاف الدروب
والموت تلفح كالجحيم
والقوت من رأس الشياطين
ولا سبيل إلى النجاة
في الموت ، في نفق المنية
منفذ يفضي إلى نبع الحياة
يفضي إلى النور البهيج
إلى عوالم ، لا دموع ولا دماء
من حيث يبزغ للشعوب
النور من روح الضحايا
دعني أمت بيد الطغاة
دعني أذق سمّ الأفاعي

فأنا القوي ، أنا الشهيد
سأقهر الطاغي العنيد
وسأُنبت الوعي العميق
وسأسرج الفكر الذي
أطفته لفحات العواصف
الخانقات النور
العاديات على الزهور
ولسوف أجمعها مواكب
هادفات لا تخاف من الكوارث
السائرات على هدى
نحو الحياة الحق ، نحو النور
من روح خباب إلى روحي
أنا بيلو ، ميازيب اليقين
من زيت مشكاة الحقيقة
من فيض فيض الوحي
ويسيح منساباً على جنات
أوطان النبوة ، بعد حين
وتعود للإسلام أمته الوحيدة
ويتم للأرض السلام

وأخوة الإنسان للإنسان
وتعيش أزهاري السعيدة .

اضطهاد لغة القرآن [1]

إلى متى لغة القرآن تُضطهد
ويستبيح حماها الأهل والولد
أما دروا أنها في الدهر عدتهم
وما لهم دونها في الكون ملتحد
ولن تقوم لهم في الناس قائمة
أو يستقيم لهم في العيش ما نشدوا
إن لم تتم لهم بالضاد معرفة
أو يكتمل لهم في الضاد معتقد
وكيف يصغون للأعداء تذكرها
وأصل ما وصفوه الحقد والحسد
والقاذفون لها بالعجز ما جهلوا
بأنها فوق ما ظنوا وما اعتقدوا

(١) المختار من شعر علال الفاسي ص ١٣٣ .

تآمروا وأعدوا كل مدرسة
بها قواعد الاستعمار تقتعد
تعلم الجهل بالماضي الذي صنعت
يد العروبة والآتي الذي تعد
وتنكر اللغة الفصحى وما نظمت
من المعاني وفيها العلم والرشد
وتبرز الأمر معكوساً كأنهم
بناة ما صنع الآباء أو وجدوا
يزوِّرون من التاريخ ما علموا
ويدعون من الأمجاد ما فقدوا
لو أنصفوا لرأوا تاريخنا صحفاً
من المآثر لم يسبق لها أحد
وكلها غرر في لفظها درر
مترجمات لما قالوا وما قصدوا
تلك اللغات التي لم تعيها فكر
ولا فنون ولا علم ولا عدد
قد بَشَّرت كلمات الله في سور
لا ينقضي عجب منها ولا مدد

من غيرها في لغات الأرض قادرة
على أداء كلام الله إذ يعد ؟
من ذا يترجم آيات الكتاب كما
أدته ؟ هل لغة في الأرض تعتمد ؟
قد حاولته لغات كلها عجزت
عن أن تؤدي فحواه الذي جحدوا
والضاد تفخر أن أعيت معارضها
فكيف تعجزها الآلات والعدد؟
وأنها البحر زخارٌ بباطنه
من الجواهر ما يزهو به الأبد
من يغترف منه لا تتبعه خارقة
من الصنائع أو يعجزه مرتصد
هيا اذكروا وتحدوا فهي قادرة
على الجواب ، بذاك الحق يعتضد
أني تضيق بمعنى أو تنوء بها
مرافيء أظهرتها الأعصر الجدد
والعلم من غيرها جهل وإن ملئت
أوراقه بالذي فيه الورى اجتهدوا

والفـن ما لم ينـل من لفظـها حللاً
يبقى كمـا اختـل عقد ليس ينتضد
والفكـر إن لم يعـبر عنه قالبـهـا
يبقى كمـا الزهـر في الأكمام لا يلد
قـل للحكـومة والأيـام شاهـدة
عودي إلى الحق لا يصددك منتقد
عودي إلى خطـة تـرضى البـلاد بها
ويستقيـم بهـا للملـة الأود
وحرري الضـاد حتـى يستبينَ لها
مجـالهـا الحرّ لا قيـد ولا صفد
عـار رواسب الاستعمـار نكلأها
وعندها الجهـل والإذلال والكمد
عـار قد استعجمت أقـوالنا وغدت
أفكارنا بمعاني الخصـم تتحـد
نحتـاج ما بيننـا للـترجمـان كمـا
يحتاج إخواننا في الضاد إن وجدوا
عند الإدارة أوعنـد المـدارس أو
عند المتاجر أضحى الضـاد يبتعد

يا ويح أمتنا ممن يكيد لها
ومن حليف له من نبعه يرد
ويح العروبة في أرض العروبة لا
تلقى المجير وفيها الخائن النكد
المغرب العربي مأساته عظمت
فأين آسيه أين المخلص الصمد ؟
الأمر للشعب فليعلن إرادته
وكلنا طاعة للأمر يعتمد
إنا بني الوطن الأسمى الأساة له
والجند للضاد نحميها ونجتهد
من لا يؤدي إلى الأوطان واجبه
فهو العدو فما ترضى به البلد
هبوا بني الوطن الأسمى إلى عمل
من شأنه الفوز للأوطان والرغد
وناصروا الضاد في كل المواقف إذ
من فوزها غاية التحرير تمتهد

عَبْدُالله كنّون الحسني

عندما أقرأ عن الصحابة الأجلاء أتوقف عند ظاهرة قلما توقف عندها القارئون ، فقد تفرق الصحابة وأبناؤهم في الأقطار الإسلامية المترامية ، وقلما تجد صحابياً اجتمع شمله مع أولاده أو مع إخوته في بلدٍ واحد ، فربما وجدت واحدهم في مكة والآخر في المغرب والثالث في مصر والرابع في خراسان ، وهذه الظاهرة تشير إلى أمور جديرة بالدراسة الفاحصة ، وبالنظر المتأمل ، ولا يسمح لنا مجالنا هذا أن نركب هذه الدراسة ، وإن كنا نود أن نسجل أن هذه الظاهرة تدل ـ فيما تدل عليه ـ على بعد الهمة ، وعلى الاستهانة بكل الصعاب في سبيل نشر العقيدة ، وهذه مهمة تقاصرت دونها همم المسلمين اليوم ! .

دفعنا لتسجيل هذه الملاحظة في بداية حديثنا عن الأستاذ عبد الله كنون ، كونه يمتد في نسبه إلى الحسن بن علي ـ رضي

الله عنهما ـ ، وأينما توجهت في بلاد الإسلام وجدت أُسراً تعتز بانتسابها لأبنـاء علي ـ كرّم الله وجهه ـ ، فأي همـة ، وأي عزيمة حملتها هذه الأسرة الطاهرة في سبيل الإسلام ونشره !

والأستاذ عبد الله كنون هو ابن الشيخ عبد الصمد بن الشيخ التهامي ، وكنون[1] هو لقّب الجد الأعلى له .

ولد شاعرنا في مدينة فاس بالمغرب يوم السبت الموافق للثلاثين من شعبان سنة ألف وثلاثمائة وست وعشرين من هجرة النبي ـ ﷺ ـ وهذه السنة توافق سنة ألف وتسعماية وثمانية لميلاد المسيح حسب اعتقاد النصارى .

وعندما فرضت الحماية المسيحية الفرنسية على البلاد لم يطـق والده المقام في المغرب في ظل هذه الحماية ، فقرر الهجرة إلى الشام ، فحزمت الأسرة أمتعتها وانتقلت إلى طنجة لتركب البحر منها إلى هناك ، ولكن ظروف الحرب العالمية حالت دون هذا السفر ، وشاء الله لهذه الأسرة أن تستقر بمدينة طنجة ، وأن تفوز هذه المدينة بهذا الطفل النابغة الذي أصبح فيما بعد علماً من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر .

---

(١) كنون بتشديد النون الأولى تعني القمر بلغة البربر .

وإذا ذكرت طنجة ذكر العلم والعلماء ، فقد أنجبت لنا طنجة علماء طبق ذكرهم الآفاق ، ومن لا يعرف الرحالة العربي الأشهر ابن بطوطة الطنجي ؟

في طنجة تفتحت عيون شاعرنا ، فألفى نفسه في مدينة عريقة المجد ، فتانة الحسن ، مزدانة بالعلم والعلماء ، وفي أسرة ورثت العلم والفضل كابراً عن كابر ، فأقبل ينهل العلم من مصادره ؛ علماء الأسرة وعلماء طنجة ، فكان لهذا كله أثر في نبوغه المبكر ، فبدأ نظم الشعر في العقد الثاني من عمره ، وما إن وصل العشرين حتى أقبل على تأليف الكتب وعلى الكتابة في المجلات والصحف .

وكما يلجأ كل المصلحين إلى التربية والتعليم لتعديل سير الأمة ولتوجيهها الوجهة السليمة ، لجأ الأستاذ كنون إلى هذا الطريق ، فعمل فترة في التدريس ، ولكنه رأى أن التعليم الذي تهيمن عليه الإدارة الأجنبية يعمل على تحطيم الأجيال المسلمة ، فيصرفها عن تاريخها وأمجادها ، ويباعد ما بينها وبين عقيدتها ، ويصر على ربطها بتاريخ المحتل وفكره ، فاتجه إلى إنشاء المدارس الحرة ، فأنشأ عام ١٩٣٦ م مدرسة حرة للبنين والبنات عملت على تخريج كثير من الشخصيات اللامعة في المغرب ، ثم أنشأ المعهد الإسلامي وتولى إدارته

وتوجيهه حتى سنة ١٩٥٣ م .

في هذه السنة (١٩٥٣ م) أقدم المحتل الفرنسي على خلع الملك محمد الخامس لاتجاهاته الوطنية وقام بتنصيب سلطان جديد بدلاً منه ، وفرض على الناس مبايعته ، فترك الأستاذ كنون طنجة فراراً من هذه البيعة ، واستقر في مدينة تطوان التي رفضت الاعتراف بالسلطان الجديد .

رحبت تطوان بالعالم القادم إليها من طنجة ، فعمل فيها مدرساً في المعهد العالي ، ثم مديراً لمعهد مولاي الحسن للأبحاث ، ثم أُسندت إليه وزارة العدل في حكومتها .

وبقي الأستاذ عبد الله في تطوان إلى أن عاد الملك محمد الخامس من المنفى ، فاستقال من وزارة العدل التطوانية وعاد إلى طنجة ، وحفظ له الملك محمد الخامس مواقفه الوطنية ، فأسند إليه وظيفة الحاكم العام بطنجة ، فعمل على تصفية النظام الدولي الذي كان مفروضاً عليها ، وعمل بكل جد وهمة على ربطها بالوطن الأم .

وإلى جانب هذه المهام الجسام التي تولاها عالمنا الكبير ، فإنه تولى أيضاً مهام أخرى كلها كبيرة وخطيرة ، فكان عضواً في المجلس الأعلى للتعليم ، وعضواً في لجنة الأبحاث العلمية بالرباط ، ووكيلاً لمجلس الدستور ، وإدارياً بالحكومة الوطنية .

فالأستاذ كنون واحد من العلماء الذين سعوا لإرساء قواعد المغرب الحديث على أساسٍ من العقيدة الإسلامية والثقافة العربية المنبثقة من هذه العقيدة .

ولم تصرفه السياسة والأعمال الكثيرة عن المشاركة في الهيئات العلمية في أنحاء الوطن العربي ، فقد اختاره المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٥ م عضواً فيه ، ثم اختير سنة ١٩٦١ م عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية في القاهرة ، واختير عضواً عاملاً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سنة ١٩٦٣ م ، وعضواً عاملاً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة سنة ١٩٧٤ م ، وعضواً شرفياً بمجمع اللغة العربية بالأردن سنة ١٩٧٧ م ، وهذا يدل على الثقة التي توليها الأوساط العلمية للأستاذ كنون ولعلمه وفضله.

والأستاذ كنون أيضاً على رأس رابطة العلماء في المغرب، وهذه الرابطة تكونت على أثر المؤتمر الذي عقده علماء المغرب سنة ١٩٦١ م ، واختاروا فيه الأستاذ كنون أميناً عاماً له ، وبقيت هذه الثقة تتجدد للعالم الثقة سنة بعد أخرى ، ولا زال ـ رعاه الله ـ يرعى هذه الرابطة بجهده وعلمه ، ويوليها من وقته ما هي جديرة به ، ويعمل على أن يعم نفعها كل المسلمين.

والأستاذ كنون شخصية مجاهدة في ميادين متعددة ؛ فهو واحد من المؤسسين للجمعية الوطنية الأولى التي تلت حرب التحرير التي قادها الأمير عبد الكريم الخطابي [1] ضد إسبانيا وفرنسا ، وهو واحد من المؤسسين لكتلة العمل الوطني.

وفي مجال الصحافة أصدر مجلة شهرية باسم « لسان الدين » استمر صدورها سنوات ثمان حفلت بالمواقف المدافعة عن الدين والمبينة لأهدافه والداعية لمثله ، كما حفلت بالأبحاث العميقة التي قدمها الأستاذ كنون على صفحاتها ، ثم أصدر مجلة « الميثاق » التي تنطق بلسان رابطة العلماء في المغرب والتي لا تزال تصدر تحت إشرافه وإدارته ، بالإضافة إلى كل ذلك فقد ساهم بتحرير جميع الصحف الإسلامية المعروفة بالكتابة إليها .

---

(١) محمد عبد الكريم الخطابي زعيم قبائل الريف بالمغرب ، ولد عام ١٨٨٢ م ، أعلن الجهاد ضد الإسبان الذين كانوا يحتلون قسماً من المغرب ، فأباد سنة ١٩٢١ م جيشاً إسبانياً من عشرين ألفاً على مقربة من مدينة مليلة ، ثم تابع جهاده إلى أن طارد الإسبان سنة ١٩٢٤ إلى تطوان ، ضعف جيشه نتيجة الانقسامات فاعتقله الفرنسيون عام ١٩٢٦ م ونفوه إلى جزر المحيط الهندي ، وتمكن من الفرار من ساجنيه عام ١٩٤٧ م ولجأ إلى مصر . وأقام فيها إلى أن توفي بالقاهرة سنة ١٩٦٣ م عليه رحمة الله .

والأستاذ كنون شخصية علمية معروفة لدى جميع المثقفين في العالم الإسلامي ، وهو محل ثقة في كل ما يكتبه وبالإضافة إلى كل ما قد منا فقد شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية والعالمية ، ولا زال إلى الآن شعلة من النشاط تضيء الطريق للسائرين على نهج الحق الذي يسلكه .

مؤلفاته :

الأستاذ عبد الله كنون عالم فذ ، ومفكر بارز ، له في التأليف باع طويل ، أربت مؤلفاته في شتى العلوم على خمسين كتاباً ، نذكر منها :

١ - النبوغ المغربي في الأدب العربي . وهذا الكتاب من أهم وأشهر ما كتب ، فيه دراسة لأدب المغرب وتاريخه أثار هذا الكتاب اهتمام الدارسين في المشرق العربي كما أثار اهتمام المستشرقين ، وفي نفس الوقت أثار غضب المحتلين الفرنسيين الذين كانوا يعملون على فرنسة المغرب بقطع الصلة بينه وبين كل ما يمتّ إلى العرب وعقيدتهم بصلة ، فجاء هذا الكتاب معبراً عن عمق هذه الصلة وعن مساهمة المغربيين الكبيرة في الثقافة العربية والإسلامية ، فصادر الفرنسيون الكتاب وحظروا

تداوله ، فزاد الاهتمام به ، فطبع في المشرق والمغرب وترجم إلى الإسبانية وقال عنه الأمير شكيب أرسلان : «من لم يقرأ كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي فليس على طائل في تاريخ المغرب العلمي والأدبي والسياسي » .

٢ ـ مدخل إلى تاريخ المغرب

٣ ـ أمراؤنا الشعراء

٤ ـ لقمان الحكيم

٥ ـ ذكريات مشاهير رجال المغرب ، وهي سلسلة تراجم تضمنت أكثر من ثلاثين حلقة ، ترجم فيها لمجموعة من رجال االمغرب ممن نبغوا في شتى العلوم والفنون، نذكر منهم : عبد المهيمن الحضرمي وعبد العزيز الفشتالي والشريف الإدريسي وابن بطوطة الطنجي وأبو العباس العزفي ....

٦ ـ واحة الفكر

٧ ـ العصف والريحان

٨ ـ شرح مقصورة المكودي

٩ ـ ديوان ملك غرناطة

١٠ ـ أدب الفقهاء

١١ ـ مفاهيم إسلامية .

١٢ ـ القدوة السامية للناشئة الإسلامية

١٣ ـ فضيحة المبشرين

١٤ ـ لوحات شعرية ، وهو مجموعة مختارة من قصائده ، وما يضمه هذا المختار قليل من كثير من الشعر الذي نظمه الشاعر ، ويعد الشاعر بأن يصدر مجموعات أخرى من هذا الكنز الشعري الكنوني .

شعره :

نظم الأستاذ كنون الشعر في الرابعة عشرة ، وقاله في أغراض تستهوي الشباب ، ولكنه تنبه مبكراً لمهمة الإنسان الشاعر في التفاعل مع آثار الحكمة الإلهية في الكون والإنسان ، فترك عبث الصبا ، ، واعتبر ما قاله في تلك الفترة من قبيل مران القلم وتنبيه الذاكرة ، ثم وضع خطوات ثابتة في الطريق الذي لا بد لكل ذي حس مرهف وإحساس صادق وتفاعل حيّ مع قضايا أمته بخاصة وقضايا الإنسان عامة أن يسلكه ، فانصرف بكليته الوجدانية يعالج قضايا أمته بقلب يتدفق حباً وإخلاصاً وبنفس تطلع إلى عودة هذه الأمة لسابق مجدها وغابر عزها .

والشعر عند شاعرنا يجب أن ينطلق من الالتزام بمبدأ يتطلع إليه في رحلته الشاعرية ، أما الشعر المتفلت والأدب

المتقلب فليس جديراً أن يقال له أدب أو يصنف مع الشعر ، يقول معبراً عن هذا المفهوم :

فليس الكتابة صوغ الكلام
بدون اختيار ولا مذهب
ولكنها ما يثير الشعور
وينشر موءودة الحسب

بدأ الأستاذ كنون غزير الإنتاج لأنه بدأ شاعراً لا يشغله عن قول الشعر شيء آخر ، ومع تقدم العمر ، ومع الانفتاح على حقائق الحياة وجد أن الشعر وحده لا يفي بتطلعاته الكبيرة فساهم لتحقيق تطلعاته بالصحافة والتأليف وشارك بالندوات والمؤتمرات والمجامع العلمية ، فأثر هذا على غزارة شعره وإن لم يقطعه عنه ، لأن الشعر عنده مختلط بوجدانه ثابت في كيانه ، يدرك أن بعض اللحظات الشعورية وبعض المواقف الإنسانية لا يستطيع أن يعبر عنها بصدق وعمق سوى الشعر .

وهكذا بقي الأستاذ كنون مع الشعر وبقي الشعر معه ، يعود إليه بين فترة وأخرى يبثه ما في نفسه ، ويصوغه بقطع من كبده ، وينظمه بدفق فؤاده .

ويستطيع الدارس لشعر الأستاذ كنون أن يصنفه في باب

واحد هو الوطنيات ، هذه الوطنيات التي تنبثق من قناعات إسلامية راسخة في يقينه ، متفاعلة مع أحاسيسه ، مختلطة بدمه، نابض بها قلبه ، متقد بها عقله ووجدانه .

ووطنياته تشمل قضايا وطنه الصغير المغرب وتمتد حتى تشمل وطنه الكبير الذي يضم العالم الإسلامي بدوله وشعوبه .

ينظر شاعرنا إلى وطنه المغرب فيراه محتلاً من الأجنبي، الأجنبي عقيدة ولغة وتاريخاً ومشاعر ، وينظر إلى العالم الإسلامي فيراه كذلك ، ويستمع إلى الناس فيراهم ينعتون المحتل بالأجنبي وبالغريب ، ولكنه بحسٍّ الشاعر يدرك أن المحتل أصبح في بلاد الإسلام مواطناً يتمتع بحقوق لا حصر لها ، ولا حدود تقف عندها ، وصاحب الأرض والوطن لا يملك في أرضه ووطنه شيئاً ، فأيهما الغريب ؟ !

عن هذا التساؤل يجيب شاعرنا بنفثات ملتهبة وأسىً بالغ :

ليس الغريب الذي يبين عن سكنه
لكنه من يسام الخسف في وطنه
يلقى الغريب الذي يسليه من حزن
وما لمثلي ما يسليه من حزنه

أهـــم بالأمــر لا ألقـــى مساعـدة
فصدري الـدهـــرَ مطـوي على شجنه
أبكـي ديـاراً أبـاح الجهـل حرمتها
وقـــاد أبناءهـا الأغـــرار في رسنه
بالأمس كانت ومـلء الأرض هيبتها
فما يُراع بها طـير عـلى فننـه
واليوم صـارت ولا عهـد يصـان لها
وأي عهــد لشعب عنـد مرتهنه
يا من لأعزل من شاكٍ يناجـزه
وليس يُسلمـه إلا إلى كفنـه

ويجاهد الشعب المسلم في المغرب ، ويماطله المحتلون ، ويمنونه بالوعود ، ويسكنونه بالآمال ، فيتأثر الشاعر مما يحسه ويراه ، فيقول قصيدة يصور حال الشعب مع غاصبيه ، ويؤكد أن الشعب إذا تمرّد فإنه لن يتراجع أبدا :

قد طـالمـا سمع الوعــود جميـلة
ورأى وجـوه المطـل كالأغـــوال
وتـرقــب الآمـــال وهـي نضيرة
فــذوت بكـــف غـــير ذات نوال

حتـى غـدا واليأس ملءُ إهابه
واليأس مركبة إلى الأهوال
تعنو الشعوب إلى مدى، لكنها
عند التمرد لا تلين بحال

وينبه شاعرنا أولئك الذين وثقوا بالمحتلين وبوعودهم ، وفتنوا بحضارتهم ، فيذكرهم بمعاملة أولئك الأشرار ، وبمآسيهم التي أنزلوها بالشعب ، فيقول :

يُحسِّنُ قومنا بالغرب ظناً
وأحسبه غدا للشرق ضدا
وأحسبه يرانا من وحوشٍ
يباكرها مناوشة وطردا
له فينا مآسٍ ليس تُحصى
وسل عن بعضها شاماً وهندا
وكم أهدى إلينا من مخازٍ
تهدُّ دعائم الأخلاق هدا
أروني فضله في غير نهبٍ
لأموالٍ كلصٍّ ليس يهدا
أروني فضله في غير حربٍ
لإزهاق النفوس تُعد عدا

ضواري الغـــاب حين تجـــوع تـــعدو
وهـــذا حـــين يشبـــع فهـــو أعدى

وتُهزم فرنسا في الحرب الكونية الثانية ، ويرغم الالمان الفرنسيين على إغراق أسطولهم بأيديهم ، فينزل هذا النبأ على قلب الشاعر برداً وسلاماً ، فقد طالما أذاقت فرنسا المغرب، بقوة هذا الأسطول ، العذاب والدمار ، فينطلق الشاعر بقصيدة معبرة شامتة يبين أن ما لاقاه هذا الأسطول هـو بعض الجزاء لما اقترفه بحق الشعوب الإسلامية من دمار وما اقترفته فرنسا، مدعية الحضارة والتقدم والرقي ، بحق الشعوب من ظلم وما أنزلته بهم من ظلام ... :

لاقى الـذي أنشيء مـن أجلـه وكـرّة السوء عـلى أهله
هوى إلى قعـر الخضمّ بـــلا جهد كمـا يُعهـد من مثله
وآثـــر السلــــم فمــــن يلحــه يلــح حمــار الحـيّ في ذله

ويسخر من فرنسا وتشدقها بالوفاء بالوعود ، إذ طالما وعدت المغرب وأخلفت ، ولكنما اليوم تعد ألمانيا وتفي بوعودها ، فتغرق أسطولها وترى ذلها بعينها :

حـاشا فـــرنسا إنهـــا أمـــة ترى وفـاء المرء من فضله
ولا تجيـــز الغـــدر إما يكـن ذو الحول ما زال على حوله

بـل تغرق الأسطول في حبه وتؤثر الموت على ختله!

ولم تكن هموم المغرب ومشاكله لتصرف شاعرنا عن الاهتمام بالقضايا الإسلامية ، وبخاصة قضية القضايا ، قضية فلسطين ، فقد تفاعلت هذه القضية في وجدان شاعرنا ، فتتبع أحداثها منذ عهدها المبكر ، فقد ثار أهل فلسطين على الانجليز وطالبوهم بالجلاء عن البلاد ، فكان إعجاب الشاعر بثورتهم وجهادهم بلا حدود ، فانطلق شعره يصف جهادهم ويحيي بطولاتهم ...

زار المندوب الانجليزي في فلسطين مستشفى القدس ، فوقف على سرير أحد المرضى وهو مسلم من جرحى ثورة ١٩٣٦ م وسأله : ما يؤذيك ؟ فأجاب الجريح : أن أراك ! ، فكظمها المندوب في نفسه وقال : هل تريد شيئاً ؟ فقال : نعم ، أن تخرجوا من فلسطين وتدعوها لأبنائها ! .

أثارت هذه الحادثة شاعرنا وبعثت في نفسه الإعجاب بهذا البطل ، فقال يحيي هذا البطل وروحه الجهادية :

عربي سيــم خسفــاً وهوانــا أترجي منه سلمــاً وأمانا ؟
هــو نضــو البــؤس إلا أنــه ناقــم يسعــرها حرباً عوانا
أتظــن الجرح أوهى عزمه ؟ ساء ظناً بالفدائي وشانا ؟

ومن تحية هذا الفدائي ينتقل الشاعر إلى تحية الشعب الفلسطيني الذي واجه المحتل الانجليزي بعزم وحزم وقدم التضحية تلو التضحية ، مستهيناً بكل الصعاب في سبيل تحقيق أهدافه الوطنية :

إيه أبناء فلسطين لقد خضتم لُجَّ المنيات عيانا
واقتحمتم جاحم الموت فلم تأتلوا فيه ضراباً وطعانا
صُبُراً ليس يبالي واحد بألوف من علوج تتدانا
عزَّلاً إلا من العزم الذي ردَّ نيران العدا تحكي الجنانا

وعندما مات بلفور صاحب الوعد المشئوم قال شاعرنا قصيدة يعبر فيها عن سخطه على صاحب الوعد حياً وميتاً ، ويدعو لمن بلغه خبر موت بلفور بالخير ، ويدعو الله أن يميت وعده معه ، ويضع ثقته بالمجاهدين الذين سوف يقتلون هذا الوعد الظالم .

لك الخيرات يا ناعي الطغام فأَبرد حرَّ أنفسنا الظوامي
قضى بلفورهم فليقض وعد أتانا فيه بالموت الزؤام
نمزقه بأطراف العوالي إذا هجنا وبالجيش اللهام
ونقبره ونقبر من يراه سبيلاً للتعدي والترامي

ويتحدث عن اليهود وحسن المعاملة التي قابلهم بها المسلمون وبخاصة أهل فلسطين ، فلم يرع اليهود لهذه المعاملة حقاً ولا

لأصحابها ذمة ، فغدروا ، والغدر فيهم طبيعة . وأساءوا ، والسوء فيهم جبلة :

أضفناهم فكانوا شرَّ ضيف ... يجازي بالعداوة والملام
وأنقذناهم من ضنك عيش ... فجاءونا بذلٍ واهتضام
هم أغروا علينا كل عاد ... وكادونا بدسٍ وانتقام
هم دلوا على العورات منا ... فيا لله من غدر اللئام

ويأسى الشاعر لما يراه من حال المسلمين ، فقر وجهل وتأخر ، ينامون على الذل والهوان ، وعدوهم يسعى للمجد والتقدم . فيقول قصيدته الثائرة « لسان حال الدولة الإسلامية » ويجعل لها لازمة تحثّ المسلمين على النهوض فيردد بعد كل بيتين هذه اللازمة « يابني الإسلام ما هذا الجمود ».

وفي هذه القصيدة يذكر المسلمين بأمجادهم ومواقف أجدادهم ويدعوهم لكي يسيروا على طريقهم ليصبحوا مثلهم :

يا لقومي فاعرفوا غابركم ... وارفعوا بين الورى حاضركم
إن يكن رب العلى ناصركم ... كيف لم ترموا به قاهركم

مختاراتنا من شعره

١ ـ الظهير البربري :

من شعارات الاستعمار المسيحي التي يطبقها في الدول الإسلامية « فرّق تسد » ، وهذا التفريق بين عناصر الأمة متشعّب تشعب هذه العناصر ، وقد استعمله الاستعمار النكد بنجاح طوال المدة التي ربض فيها على صدور المسلمين ، ونهب فيها خيراتهم ..

فالناس في العقيدة مسلم ومسيحي ...
والمسلم سنّيٌّ وشيعيّ ...
والمسلمون عربٌ وعجم ...
والعجم أكراد وأتراك وهنود ...

وسكان البلاد ذوو أصول بعيدة لا تمت إلى العرب والاسلام بصلة ، فهم فراعنة في مصر وفينيقيون في بلاد الشام...
في كل بلد أديان ومذاهب ، وقوميات وأصول بعيدة بعيدة..
وعانى من هذه التفرقة المشرق والمغرب .
فكما قسموا المسلمين في المشرق عرباً وأكراداً ...
قسموهم في المغرب عربا وبربرا ...

وحاولوا أن يفصلوا البربر عن العرب ، فبحثوا عن أصولهم

وأصالتهم ! ونقبوا عن دياناتهم القديمة لعلهم يغرونهم بالعودة إليها ، وأصدروا لهم قانوناً يتحاكمون إليه ، وعينوا لهم مناطق يطبقون فيها هذا القانون ، يريدون بذلك أن يفصلوهم شعورياً عن بقية المسلمين في المغرب ، وهذا القانون الذي أصدره لهذا الهدف الخبيث هو ما عرف بالظهير البربري .

وهب المسلمون لمقاومة هذا القانون ، وأدرك البربر بحسّ الإيمان خبث المؤامرة فرفضوه .

ولن يتوقف المستعمرون عن مكائدهم هذه ، فصالحهم لا تتحقق إلا بدوام الفرقة بين المسلمين على أن هذا الداء الذي يعمل المستعمرون جاهدين على نشره في بلادنا سوف يرتد إلى نحورهم بإذن الله ، فكما أن في البلدان الإسلامية قوميات ، فإن في أمريكا وأوروبا قوميات أيضاً وكما أن في البلدان الإسلامية أقليات عرقية ودينية فإن في أوروبا وأمريكا أقليات أيضاً ، ففي أمريكا الهنود الحمر والسود الافريقيون والأصول الأوروبية المختلفة ، وفيها المسيحيون واليهود والمسلمون ، وفيها البروتستانت والكاثوليك و . . . ، كل هذه وغيرها يمكن أن يمتد إليها داء التفرقة الذي ينشرونه بين المسلمين ، ولقد طفا على سطح الأحداث في إنجلترا الخلاف المذهبي في إيرلندا ، والإنجليز هم أصحاب مذهب التفرقة وهم ناشروه ، وقد بدأوا يتجرعون مرارته في أحداث إيرلندا ، ثم في تململ المقاطعات المتحدة مع

انجلترا ، وذلك بالمطالبة بالاستقلال الذاتي كخطوة إلى المطالبة بما هو أوسع من ذلك ...

نكتب هذه الملاحظات بين يدي تقديمنا لقصيدة الأستاذ كنون هذه : « الظهير البربري » ، وهي قصيدة اخترناها لموضوعها ، وإن كانت لا ترقى من الناحية الفنية لقصائد أخرى حفل بها المطبوع والمخطوط من شعر الشاعر .

٢ ـ خصوم العربية في المغرب العربي :

لا تجد شاعراً مغربياً مخلصاً إلا وكتب عن قضية اللغة العربية في المغرب ، وذلك لأن الهجمة على هذه اللغة في المغرب العربي اتخذت مساراً أشد عنفاً من ذلك الذي شهده المشرق العربي ، فقد حرم الاستعمار تداول هذه اللغة في المدارس والدوائر الحكومية والشركات والصحف ، ولولا ما بذله العلماء المخلصون من جهود للحفاظ عليها بتدريس القرآن الكريم في مدارس خاصة وفي مجالس إسلامية لتم للاستعمار الصليبي ما أراده ، ولكن لله إرادة ، ولا يغلب إرادة الله غالب .

ويتناول شاعرنا في قصيدته هذه مفهوماً إسلامياً مفاده أن أولئك الذين حافظوا على اللغة واعتزوا بها ممن لم يكونوا عرباً صليبة ، هم إلى العرب أقرب من أولئك الذين تنكروا لهما ومالئوا المستعمر على حربها وإن كانوا عرباً ينتمون إلى

عرب صرحاء من قريش !

وحرصنا أن نختار هذه القصيدة للأستاذ كنون لما لها من دلالات معنوية قصدنا إلى أن نضعها أمام القارئين ..

الظهير البربري

ضاعت جهـــود الفاتحينـــا | وجدودنـــا المستشهدينـــا
ضـــاعت مآثرهـــم وقـــد | كانت لـنـــا فخراً مبينا
نقـــض العـــدا بنيانهـــم | مـن بعد ما راموه حينـا
طمســـوا معالمـــه التي | كنـــا بهـــا مسترشدينـــا
نسفـوه نسفـــاً وائتلـــوا | أن لا يزالـــوا مخربينـــا
كـــان الشجـــا في حلقهـــم | فغـــدا شجـــاً للمؤمنينـــا
كـــان القـــذا في عينهـــم | فاعتـــاد عين المسلمينـــا

* * *

لهفــــي عـــلى الصرح الـ | ـممرَّد من عهود الأوَّلينـــا
العـــالمـــين العـــاملـــين | الصـالحيـــن المصلحينـــا
طـــالتـــه أيـــدي المعتـــد | يـن العابثيـن المفسدينـــا
بالمكـــر بالتضريب بيـــ | ـن حمـــاتـــه المتحمسينـــا
بالكيـــد بالدس الـــدنيـــ | ـىء، فعـــال قوم مجرمينـــا

لـمــا رأونـــا لا تليـــــ ... ن قنـاتنـــا للغامزينـا
وتمــــــرّسوا مــن حربنـا ... بالضاربيـــــن الطاعنينـا
المقدميــــن علـــى غمـا ... ر المـــوت غير معرّدينـا
واستيـــأسوا مــن خضـد ... شوكتنـــا بقوّة غاصبينـا
ولبعـــث نعـــرة بـربـر ... مـن بعد ما كانت دفينـا
قالـــوا : سبيلكـــم سبيــ ... ل الطـارئيـــن الواغلينـا
فالأرضـن ليسـت أرضكـم ... والقـوم عنكـم راغبونـا
لهـــم شريعتهـــم بهـــا ... من قبلكـم يتحاكمونــا
ولغـاهـــم يتخاطبـــون ... بهـــا ، وقـد يتكاتبونـا
وأصولهـم ما إن تمـــتُّ ... لكـــم بوصلـة منتمينـا
بـل إنهـم منا ونحـن نجا ... رهـــم حقـــاً يقينـا
ولقـــد قسرتـــم من تعـا ... طى منهـم الإسلام دينـا
فـالآن جـــاء الحـق يكـ ... شف عـن وجوه المبطلينـا
ويقيـــم خيــــر حكـومة ... « لحماية » المستضعفينـا
والنـاس منـذ اليـوم أحرا ... رٌ بـأرضـن محرَّرينـــا
فليعتنـــق مـــن شاء ديـــ ... ن الحق أو دين الّذينا ...
وليستعضـــن لغـــة الحضا ... رة عـــن لغات الآخرينـا
هـــذا الظهيــر أقــرَّ مبـ ... ـدأ مـا نـروم وما ولينـا
وأنـالنــا حــقَّ التصـــرُّ ... ف في الأمــور بما رضينـا
فالويـل كـل الويـل للمـ ... ـتعـرضيــن الناقمينـا

ولمـــن يصـــدُّ عــن السبيـ ـــل رجـالنـــا ومناصرينـا

* * *

هــذا الــذي كنــا نحـــا ذره مـــن الدخـلاء فينـا
إن كـــان هـــذا سلمكـــم فالحرب أهـون مالقينـا
أو كــان تخريـــب الضما ئــر شرعـــة المتمدينينـــا
فـلبئس تمـــــدين بـــه تزهـــون يا متوحشينـا

* * *

إدريـس فلتـشرف بـــرو حـك تشهد المستعمرينـــا
مــاذا استبـاحـــوا من حمـا ك كـأن أتـــونا فاتحينــا
الشرع ينســـخ دفعـــة والـدين يقذف كالكرينـا
والمــال ينهـب والمظالـــم ما لهـا من منكـــرينـا
ورجـالنــا الأحرار أضحوا في بـــلادهـــم قطينـا
فـإلـــى متـى لا ينجـلي هــذا الظــلام لمدلجينـا
وإلى متــى لا يقتـــدي بك في الحفيظـة من يلـونا
إنــــا لعهــــدك حافظو ن ، فهل نراهم حافظينا ؟

خصوم العربيّة في المغرب العربيّ

جهلوها ، فناصبوها العــــداء ... ومن الجهل ما يكون بــلاء
ليت شعري ما يعلمون وإن كا ... نوا ادعاءً يطاولون السمــاء
إنهم أميون في لغــة العُــــر ... ب يضاهون العُجم والغربــاء
فُصُحٌ في رطــانــة الروم والا ... فرنج لا يخرمون منها بنــاء
يلتوي نطقهــم بأبنية الضــــا ... د كعلجٍ فَدْمٍ يعاني الهجــاء
ويخطون أحرفاً كــالهراوى ... ليتها في رؤوسهم أشلاء

* * *

أتُراهم من العقــوق أُصيبــوا ... أم دُهــوا من بصيرة عميــاء
أم نمتهـــم للأجنـــبي دمــاءٌ ... فأفاؤوا لأصلهـــم وأفــاء
لا تقولوا من هاشم نحن أو من ... عبد شمسٍ صليبةً لا ولاء
ما أهنتم شأن العــروبـــة إلا ... حين كنتم في يعرب أدعيــاء

* * *

رحم الله طارقاً فهو أولى بقريشٍ منكم وأدنى انتماء[1]
لم تكن من كلامه ولقد بذّ بنيها براً بها واعتناء
وابن تاشفين إذ حماها من الغز و فزادت عزاً به واعتلاء
والمصاميد بعده إذ رعوها فأفادت غنىً بهم ونماء
ومَرِينا وحزبها حين أعلوا رايةً بيننا لها ولواء

* * *

عرباً كان هؤلاء وناهيـ لك بهم أريحيّةً وإباء
هم كسلمان من أعاريب جاءال وحي نصًّا عليهمُ وثناء
ما رضوا قط أن يكونوا ذيولاً لأعاديهم ولا أولياء
ورضيتم أنتم بها في كلامٍ ونظام ، ذميّةً صفراء
فنبذتم شرع الإله وألغيـ تُمُ لساناً به هدى الأملاء[2]
وهجرتم كتابه واطّرحتم سنّةً في بيانه غرّاء
وانسلختم من قومكم واندمجتم دُخلاءً في طغمةٍ دُخلاء
وعهدتم إليهمُ ببنيكم وتخذتم منهم لكم نُصحاء

* * *

غِيلَ جيلٌ تبنيه زِعنفة الغا لِ ، وأنّى ترعى الذئابُ الشاء
ضلَّ شعبٌ ألقى مقاليده ما بين أيدي خوارجٍ عملاء

(١) في الحديث الشريف : « إن العربية ليست منكم بأب ولا أم ولكن من تكلم لغتنا فهو منا » .
(٢) الأملاء : مفردها ملأ . والملأ علية القوم وأشرافهم .

ما عهدنا «أبا رغالٍ»[1] زعيماً كيف صرتم في قومنا زعماء
تزعمون النهوض بالشعب هل ينهض بالشعب من يسير وراء
إن شعباً بغير خُلْق ونُطـق لا يساوي بين الشعوب هباء

(١) أبو رغال: دليل أبرهة الحبشيّ في غزوه للكعبة عام الفيل، ويضرب مثلاً لخيانة المرء قومه.

عَدْنان النَّحَوي

حياته :

ولد عدنان علي رضا النحوي في بلدة صفد بأرض فلسطين عام ١٩٢٨ م . ونشأ في أسرة كريمة تنتسب إلى عالم جليل اشتهر بين الناس بصفته العلمية وعرف بالنحوي .

وفي قلعة صفد الشامخة التي تطل على نهر الشريعة تربّى عدنان ، وعلى أرضها الطيبة التي تكللها الكروم والجنائن تفتحت طفولته ، وفي مدارسها العامرة أنهى تعليمه الابتدائي والثانوي ، ثم توجه إلى الكلية العربية في بيت المقدس وحصل منها على دبلوم دار المعلمين عام ١٩٤٨ م .

ولم تكن سنوات دراسة عدنان لتمر بهدوء ، فقد كان الاستعمار البريطاني يجثم على أرض فلسطين ، وكانت بريطانيا تعتبر فلسطين بلداً بلا شعب ، وتستهدف أن يكون شعبها من اليهود . فقد سنّت قانون الهجرة اليهودية الذي فتحت به أبواب فلسطين لليهود من جميع بقاع الدنيا وسائر أنحاء الأرض .

ومضت السنون ثقيلة الخطى مليئة بالأحداث الجسام، وقدّم أبناء فلسطين كثيراً من التضحيات في معارك غير متكافئة ضد قوى عالمية .. وحلّت النكبة الأولى بأبناء فلسطين عام ١٩٤٨ م .. وذاق عدنان وأهله وأبناء وطنه طعم التشرد واللجوء، وأُبعد عن وطنه وأُخرج من دياره، واضطر مكرهاً أن يعيش في مختلف البقاع يرنو بأبصاره إلى أرضه ومقدساته وينتظر اليوم الذي تبدأ فيه جولة الحق وينتصر فيه جنود الإيمان وتعلو كلمة الله .. يوم ينادي المنادي : يا خيل الله اركبي ويا كتائب الإيمان سيري .

واستقر المقام بشاعرنا بعد الهجرة في دمشق فعمل في التدريس فيها خمس سنوات ثم عمل مدرساً مع وزارة التربية والتعليم في الكويت ثلاث سنوات .. ودفعه طموحه العلمي إلى مواصلة دراسته فدرس الهندسة الألكترونية في جامعة القاهرة وحصل على بكالوريوس في الهندسة سنة ١٩٦١ م، وعاد إلى دمشق وعمل مديراً للإذاعة بمدينة حمص ثلاث سنوات وارتحل بعدها إلى الرياض وعمل مديراً للمشاريع الإذاعية في وزارة الإعلام السعودية مدة خمس عشرة سنة . وكان خلال هذه الفترات يقوم بدراسات خاصة في الأدب والقانون والشريعة الإسلامية .

شعره :

عاش عدنان النحوي في بيت من بيوت العلم ، فأبوه علي رضا النحوي من أعيان صفد وعالم من علمائها ، وخاله محيي الدين الحاج عيسى من شعراء فلسطين المشهورين . وكان عدنان منذ صغره مولعاً بقراءة الشعر العربي قديمه وحديثه .. فنهل من الأدب ومن شعر الشعراء الفحول أمثال أوس بن حجر والمتنبي وأبي فراس الحمداني وأحمد شوقي .. وكان ذلك سبباً في تنمية ذوقه الشعري .

نشأ عدنان مفطوراً على الشعر ، وبدأ نظمه مبكراً ، ولم يبتعد عنه في يوم من أيام حياته ، حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة .. فالشعر عنده نبض وجدان ، وفيض مشاعر ، وذوب فكر .. وتعبير عما يحمل في قلبه من مشاعر وأحاسيس تنطلق لتذكر الأمة بأمجاد ماضيها الزاهر .. وتصف لها همومها الراهنة وتدعوها إلى السير على طريق الحق .

وعدنان شاعر أحب أُمته ، وارتبط منذ صباه ببلدته ووطنه ودينه .. وحب الوطن من الإيمان ، والحنين إليه من صفات المسلم الملتزم بإسلامه ، فالرسول ﷺ يقول عن مكة : [والله إنك لخير أرض الله وأحبّ أرض الله إلي ، ولولا أني أُخرجت

منك ما خرجت][1] . والإمام الشافعي كان يردد شوقاً إلى بلده بيتين شهيرين :

وإنـي لمشتـاق إلى أرضـ غـزة
وإن خانـني بعـد التمـزق كتمـاني
سقى الله أرضـاً لـو ظفـرت بتربها
كحلت به من شدة الشوق أجفـاني

ومن هذا المنطلق الإسلامي كان الحنين المتدفق إلى فلسطين من شاعرنا المسلم عدنان .. فكان أول ديوان له بعنوان « الأرض المباركة » وكانت قصائد الديوان حنيناً ملتهباً ، وتصميماً وعزماً على العودة الظافرة تحت لواء الإسلام .

انطلق عدنان يتغنى ببلدته صفد ويعيش ذكرياتها الحلوة النابضة بالحياة ، فيرسم لنا تلالها ووهادها ، وأشجارهـا وأنهارها ، وثمارها وأطيارها ، ويتمثلها جنة وارفة الظلال يسميها (عروس الدهر) .. فيقول في قصيدته « لوحة من صفد »[1] :

صفدٌ ! عروسَ الدّهر ! دونك فانظري
هـذي وفـودُ حواضـرٍ وبـوادِ

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج٣ ص ٢٠٥ .
(٢) ديوانه « الأرض المباركة » ص ٨٥ .

نسعى إليكِ من الشآم شوامخٌ
وجبالُ لبنانٍ على ميعاد

والسّهلُ والنهرُ البديعُ وخضرةٌ
أَلِقَتْ كأسْوِرَةٍ لها بزناد

ويتنقل شاعرنا في أرجاء فلسطين فيكتب شعره في عكا تارة وفي القدس أخرى ، ويتغنّى بحيفا ويصف بحيرة طبريّة .. ويطلق من خلال شعره صرخات يحذر فيها أبناء أمته ويدعوهم إلى نبذ الخلاف ، ويبين لهم أن نتيجة التخاذل والتمزق ستنتهي بفلسطين إلى ما انتهت إليه الأندلس ، ويطلب منهم العودة إلى رسالة الإسلام وحمل راية الجهاد للدفاع عن الوطن ونراه يعبر عن مدى إيمانه بهذه الرسالة فيقول لصديق له :

شكوت لي غير أني لم أجد أحداً
أشكو إليه وفي جنبيّ نيران

هواك غيد وتشكو من لواحظها
لكن هوى أضلعي دين وأوطان

ويعاصر عدنان المؤامرات المتتابعة والأحداث المتلاحقة ولا يترك حادثة أصابت فلسطين إلا وعاشت في وجدانه وامتزجت بدمائه وأنفاسه منذ بداية الأربعينات حتى اليوم .. فنراه في عامي

١٩٤٣ م ، ١٩٤٤ م يحس تمزق أبناء وطنه ويسمع أنين شكواهم ولا يرى عملاً جاداً ولا مغيث ولا معين ، ولهذا نجده يناشدهم الكف عن الدموع والسعي إلى الجهاد ، ويستثير هممهم فيقول في قصيدة بعنوان « نذير »[١] :

ما لي أرى الأرض ثارتْ من تقاعسنا
ورجّعت بيننا صوتاً يُنادينا
كأنَّمَا اتّقدت أحشاؤها جزعاً
وولولت رَهَباً من واقع فينا
هُبّوا سِراعاً إلى حومات معتركٍ
من الجهاد يُدوّي من روابينا
هل تحسبون بأنَّ اللّيل مُنعقدٌ
فنمتم ، وضَلَلتُمْ في دياجينا
لا تُذهبوا فُرَصَ الأيام عاطلة
وقد أتتكُمْ حُلاها من أمانينا
وحقّقوا أملاً في الصدر مُضطرماً
لولاه مانبضت أعراقُنا فينا

وتحل النكبة عام ١٩٤٨ م ويصحّ ما توقعه الشاعر وترتسم الكارثة بكل مآسيها في وجدانه .. فيبكي سقوط صفد ويبكي

(١) ديوانه « الأرض المباركة » ص ٢٤ .

ضياع فلسطين كلها ، ويبكي شهداء الجهاد الذين سقطوا على أرض المعركة كالشهيد عبد القادر الحسيني بطل القسطل وقائد الجهاد المقدس في فلسطين الذي استشهد في ٨ نيسان عام ١٩٤٨م في معركة القسطل بعد أن عاد من دمشق ولم تمده اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية بالسلاح اللازم لتلك المعركة . فخاضها بما لديه من رجال وسلاح .

قال عدنان في قصيدة بعنوان « الشهيد عبد القادر الحسيني في القسطل »[1] .

عـاد الهزبـرُ فمـا للقلـب يضطـرب
وللعيـون وهـذا الدمـع ينسكـب
جاء البشير إلينـا والنّعِـيُّ معـاً
كلاهما خفقَةٌ : فالنّصـرُ والحَربُ
لَم يقبَلِ القلب غير البِشْرِ مـن خبـرٍ
ولم يَـرَ النّعْيَ إلا وهـو يقتربُ

قالـوا : الرّصاصُ يحيّي بِشْرَ عَودته
وهـذه القدسُ خفّـت نحوه تَثِبُ

---

(١) ديوانه « الأرض المباركة » ص ٤١ .

لم يَعْلَمِ الناسُ هـل حـيٌّ يقودهـم
إلى المعارك ؟ أم موت ومُحْتَرَبُ
لم يلمَسوا فيـه إلا أنّـه بـطـلٌ
حـيٌّ يقـود ولا يُثنـى لـه أَرَبُ

ويشتد حنين عدنان إلى وطنه ، ويعتصره ألم البعد والفراق.. ولا يتوقف صوته ولا تكف جراحه عن النزف منذ بدء النكبة حتى اليوم .. قال في قصيدة بعنوان « جرحان »[1] كتبها عام ١٩٤٩ م :

يُذكي الحنينُ إلى الطُّلـول أسىً
عَصَرَ الضُّلـوع ومـزَّقَ الكَبـدا
جُرحـان : تَحمِلُ مـن نزيفهما
ألمـاً يَجُـذُّ الـرّوحَ والجَسَـدَا
جرحـان : يَعْتَصِـرُ الأَسَى بهمـا
عُمْرَ الفتى والشيـخَ والـولـدا
جرحان : جُـرحٌ غـار في جَسَدٍ
رَوَّتْ دمـاهُ مـراقِـدَ الشُّهـدا
وكـذاكَ جُـرْحٌ غـارَ في شرف
وَيَدُ النّـزوح تـدورُ فيـه مَـدَى

(١) ديوانه « الأرض المباركة » ص ٥٣ .

ولما طال بعده عن فلسطين ورأى تقاعس العرب والمسلمين عن تحرير أرض الإسراء والمعراج كتب قصيدة عام ١٩٧٤ م بعنوان « عودة لاجيء » [1] كتبها بقلم يتنزّى ألماً وقلب يقطر دماً.. قال فيها :.

أنـا يـا أختُ ضائعٌ لستُ أدري
أين قـومي وأيَّ أرض أجـوبُ
في ضلوعي أسىً ! وفي العين دمعٌ
يتنزّى وفـي الفـؤاد نـدُوب
وعلـى الوجـه بسمـةٌ ظلّلتهـا
غَبْرَةُ الموت واعتراهـا شُحـوب
ودبيـب الأيـام ينـزعُ منـي
نَفَساً خافقـاً وروحـاً يَغيـبُ

وفي عام ١٩٧٤ م تفقد فلسطين مفتيها وقائد جهادها الحاج محمد أمين الحسيني الذي ودّع الحياة الدنيا ولقي ربّه في بيروت بعيداً عن أرض بيت المقدس .. ذلك الرجل الذي حمل راية الحق وأمضى حياته كلها في حرب مع الاستعمار وأعداء الإسلام ، فكان عَلَماً من أعلام العقيدة والجهاد في تاريخ هذه الأمة .. ذلك الرجل الذي لم تعرف فلسطين قائداً مثله يفهم

(١) ديوانه « الأرض المباركة » ص ٧٧ .

قضيتها حق الفهم ولا يساوم ولا يهادن ولا يضل ولا ينحرف ، ويبقى علماً شامخاً لجهاد أبناء فلسطين على مرّ الأيام ..

وعدنان الذي نذر جُلَّ شعره لفلسطين ما كاد يسمع بوفاة المفتي القائد حتى قال قصيدته المعبّرة « دمعة على رجل »[1] والتي نقتطف منها هذه الأبيات :

يا أيها الجسدُ الثاوي على شَرَفٍ
أكبادنا لشهيد الحقّ أكفانُ
ستون عاماً وما لانت شكيمته
ولا استكان ، وهذا العودُ ريّان
عطاؤُه من حنايا القلب يُفرِغُهُ
وجودُهُ الصّدقُ إيفاءٌ وإحسان
أوقَدْتَ معركةً للحق صابِرَةً
تقودُها ، وينير الدّربَ قرآن
دوّى الأذان من الأقصى وردّدَهُ
من الكتائب عُبّادٌ وفرسان
وأقبَلَتْ من جبال النّار زاخِرَةً
كتائبٌ ورصاص الموت ألحان

(١) ديوانه « الأرض المباركة » ص ٦٩ .

كَـم أَطْلَـقَ البطَـلُ القسّامُ[1] غَضبَتَهُ
وزمجَرَتْ دونــه بيــدٌ وكُثْبـان
ردَّ الحُسَيْنِيُّ وجـه الكفـر مندحـراً
يَجُرُّهُمْ مــن نواصي الذُّلِّ خُسـرانُ
وأقبل النّصرُ خفّاقـاً على أمَــلٍ
يحوطـهُ مـن بديـع الدُّرِّ تيجـــان
حتى أتت مـن سواد الليل داهيــــةٌ
وأطْبَقَتْ مـن ديـار الغـرب غِربـان

إلى أن يقول :

نَصَحْـتَ قومَـك أن لا يشتـروا عَرَضاً
وقـد شَرَى منهمُ الأرواحَ رحمـانُ
لا يرتضي الوطنُ الغالـي مُساوَمَـةً
ولا تقـومُ على التقسيـم أوطـان

---

(١) الشيخ عز الدين القسّام داعية من دعاة الإسلام وبطل من أبطاله .. وُلد في بلدة جبلة قرب اللاذقية عام ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م . ونشأ في بيئة إسلامية ، وأنهى تعليمه العالي في الأزهر الشريف . ولما احتل الفرنسيون ساحل سورية في نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ م . اشترك في الثورة ضد الفرنسيين وقام بدور بارز وحُكم عليه بالإعدام ، فذهب إلى مدينة حيفا واتخذ منها مقاماً ومستقراً . =

مَــنْ يقْسِم القَلْبَ تجري منــه أوردةٌ
ويحملُ الدَّمَ في الأوصــال شريــانُ
لا يستعيدُ حِمَــى الأوطان غيرُ هُــدىً
مــن الكتــاب وعُبَّــادٍ لــه دانــوا
تشوَّقَــتْ لجنــان الخلــد أنفسهــم
فأرْعدَتْ في البطــاح الحُمْــرِ فرسانُ

ولم يعش عدنان لمأساة فلسطين وحدها .. وإنما كان يجول بمشاعره وأحاسيسه في عالمه الإسلامي يتتبع قضاياه في الحرية والجهاد ، ويشدّ أزر المجاهدين بروح المتفائل المؤمن برسالة الإسلام .. فنراه يقول في قصيدة بعنوان « أخي »[1] وجهها إلى

= وكان القسّام رجلاً عالماً مؤمناً صادقاً . وكان يؤمن بأن الجهاد العملي والقتال الصادق خير منطق يجابه به الأعداء الذين يهاجمون أرضنا ويدنسون مقدساتنا . وأنه لا كرامة لمسلم يرضخ للأعداء أو يصادقهم أو يطمئن إليهم . وكان ينشر أفكاره ويلتقي بتلاميذه في مسجد حيفا الكبير .. وعرف الناس القسّام صادق الرأي مخلص العقيدة .. ربأ بنفسه أن يدعو إلى الجهاد ولا يجاهد . وأن يشهد تلاميذه يقاتلون ولا يقاتل ..

وقاد القسّام الثورة المسلحة ضد الإحتلال البريطاني في فلسطين.. وحاصرت قوات الإحتلال عرين البطل المجاهد ودارت معركة في غابة يعبد بمنطقة جنين انتهت يوم ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٣٥ م باستشهاد القائد وبعض رفاقه .

(١) ديوانه « الأرض المباركة » ص ٩٥ .

إخوانه في العقيدة والجهاد في بلد من بلدان الإسلام :

أخـي ! لا تُبـالِ فهذي القلـوب
وهـذي السّواعـد ثارت مَعَـك
فـلا ظُلْمـةَ السّجـن تَخْشَ ولا
جُنـونَ السّياطِ بَـرَى أضلُعَـك
ولا القَيْـدَ حطّمَـهُ كبريـا
ؤُكَ ! قَطّعْتَـهُ دون أن يقطَعَـك
وجـلاّدُكَ الوحشُـ أذْلَلْتَـهُ
وقـد كـان يبغـي هنـا مصرَعَـك

ولما تعرضت الحركة الإسلامية في مصر عام ١٩٥٤ م لمؤآمرات خبيثة وتصفيات دنيئة عبَّرَ عنها شاعرنا بقصيدة « دماء بريئة »(١) قال فيها :

أدَمٌ يُـراق وفتيـةٌ يتساقطـو
ن وعُصبَـةُ الطّاغوت فيهم تحكُـمُ
والشّعـبُ مسكين يُجـرَّدُ فـوقـه
سيـفٌ تُشَلُّ بـه اليـدان ويُلْجَـمُ
وتُـرَدُّ أبـواب السّجـون وخلفهـا
جسدٌ يغيـبُ وهِمّـةٌ تتقـدَّمُ

---

(١) ديوانه « الأرض المباركة » ص ١٠٩ .

وذاق عدنان فاجعة الهجرة والحرمان من الوطن ، وعاش فترة قاسية مليئة بالمحن .. ومع هذا لم يتطرق اليأس إلى نفسه ولم يهتز إيمانه ولم يتخاذل تفاؤله ، وشعاره في ذلك قوله :

لا تيأسي يـا نفس إن عبـس الزمـــا
ن فمـا القنـــوط بمذهـب البأسـاء .

إنتاجه الأدبي :

١ ـ « الأرض المباركة » ـ ديوان شعر قام بنشره المكتب الإسلامي في بيروت .
٢ ـ ديوان شعر جديد لم ينشر بعد .
٣ ـ كتابات فكرية لم تنشر بعد .

مختاراتنا من شعره :

١ ـ « لم يبق في عرفات إلا دمعة » ، قصيدة نظمها الشاعر عام ١٣٩٤ هـ . استعرض فيها ما حلّ بأرض الأقصى الأسير من ذلّة وهوان .. وطوّف بأرض الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها .. من روابي الصين إلى شواطىء الأندلس ، وصوّر الهجمة الشرسة التي شنّها الحاقدون على أرض الإسلام في كل جزء من أوطانه .. وتذكّر قادة الإسلام الذين فتحوا الدنيا ونشروا فيها عدل الإسلام .

وأمام هذا المشهد الكبير في عرفات وأمام هذه الذكريات التي تنسكب منها دموع الأمل بالعودة إلى الإسلام وإلى أيام أمجاده الخالدة .. جاءت هذه المطولة الرائعة التي ارتقى فيها شعر عدنان إلى مرتبة كبيرة من الإحساس وقوة التعبير .

٢ ـ « جولة الإيمان في تل الزعتر » ، نظمها الشاعر عام ١٩٧٦م حين رأى الفواجع والهموم والأحزان التي خلفتها معركة تل الزعتر في لبنان .. تلك المعركة التي استمرت قرابة شهرين في صمود شغل صحافة العالم ، وهزّ القلوب لثبات نفر من أبناء فلسطين المجاهدين في مواقف من الحق رائعة تصل التاريخ ماضيه بحاضره ، وتمتد مع مواكب الإيمان جولة بعد جولة ... !

في تلك المعركة تجلّى الحقد الباطني والصّليبي واليهودي .. تجلّى الحقد من طوائف عاشت في قلب الأمة الإسلامية ولكنها كانت على مدى الأيام عوناً لأعداء الإسلام .. عوناً للصليبيين والتتار ولكل غازٍ لأرض الإسلام . ولقد ذكر المؤرخون أن سكان فلسطين ذاقوا دائماً ويلات الحروب فقد حطّم الصليبيون مساجد المسلمين في القدس ثم أجروا السيف فيها فسالت الطرقات بأنهار الدماء .

وفي تل الزعتر وقعت مجزرة رهيبة فاقت مجزرة قِبْيَة وديرياسين .. مجزرة ذُبح فيها الأسرى وبُقرت بطون النساء ودُفن الأطفال أحياء ، وشاهد الناس بأعينهم جرّافات الحقد تجرف بيوت المسلمين من أبناء فلسطين في تل الزعتر وتحمل معها الأطفال أحياء وتهيل عليهم التراب .

لم أبْقَ في عرفات إلا دمعة(1)

يـا دارُ مـا بـكِ ! هزّكِ الحـرمـان
وعراكِ مـن ذكـرى الشّهيـد حنـانُ
فكأنّ أرضَكِ لم تعـد تلقَـى الفتـى
يمضي يُبَـارك شِلْوَهُ الـرّحمـان
عجبـاً ! وحولَكِ عصبـة عطّافـةٌ
وعلـى رُبـاكِ مَصـارعٌ وسِنـان
لم تُـرْوَ مـن دَمهـا الرُّبـا ! أين الألـى
سبقـوا وكُـلٌّ جهادهـم إحسـان
شوقٌ وكـلٌّ حياضهـا مملـوءةٌ
وجـوىً وكـلٌّ مراحهـا فتيـان
أنـا مهبـطُ الوحـي الكريـم وساحـة
المَسْرى العظيـم وآيـة وَجنـان

---

(1) ديوانه « الأرض المباركة » ص ١٢١ .

حَرَمٌ يُبارِكُهُ الإلــــه : رحيقـه
تَغْنى بـه الذّروات والوديـــان
حـرمٌ تَحِـنُّ لـه القلـوب ويرتوي
عنـد اللقـاء وخفقِـهِ الظمـآن
أنـا من هنَاك ! جَلَتْ مرابِعيَ النبـوّةُ
والتقـت في ساحِـيَ الفرسـان
أنـا مـن ثـرى عَـدْنٍ طـويْـتُ جنَانَهَا
قُدْساً ومكّـةَ ضمّهـا رِضـوان
لا أرتضي إلاّ الدّمـاءَ غواليـاً
لله ! يصْدُقُ بيعهـا الطّعّـان
تجلُـو مـن الأنـوار ثَـرًّ نجيعهـا
ويفيضُ من رَيِّ القنـا الإيمـان

* * *

تتلفّـتُ الدُّنيـا علـى ساحـاتـه
وتُغَضُّ مـن فـرط الأسى أجفـان
الذكرياتُ الخاليـاتُ بـوارقٌ
يطـوي لوامِـعَ برقهـنّ دخـانُ
رُدّي روابـي الصّيـن أيـن مَحمّـدٌ
والسّورُ تَنْهَـدُ حولـه الفرسـان

حَمَلَتْ إليه من تُرابِكِ حَفْنَةٌ
صيدٌ يَجُرُّ أُنوفَها الاذْعان
ليدوسَها ويَبَرَّ بالقَسَمِ العظيم
وينثني من كفِّهِ الإحسان
فإذا به يُلقي عليكِ من الهُدى
ألقاً ويعلو بعدَ ذُلٍّ شان

* * *

رُدّي روابي الهند أين شريعة
الرحمان من سلطانها السُّلطان
كم كان يَبْرِقُ في ديارِك نورها
أمنا ! فغابَ فأين مِنْكِ أمان
فتقطعت مِنكِ الرُّبا وتمزّقت
مِنْكِ الرُّؤى وتناثَرَ الإيوان

* * *

دارَ السّلام وأيُّ لحنٍ لم يكن
شكوى بدارِك إن شَدَتْ بغدان
ذكرى لدجلة والفرات وساحةٍ
غنَّاءَ تخفِقُ عندها الألحان
تمضي رُبا الأردنّ بين مياهها
ذكرى يُعيدُ رَواءَها الجَرَيان

ذكرى تمُرُّ بكلِّ خفقةِ موجةٍ
أو زهرةٍ فاحت بها عمّان

ودمشق تطويها الضّلوعُ صبابةً
وتغيبُ بين جُفونيَ السّودان

والمغربُ الزّاهي أَرُدُّ لساحِهِ
طَرْفي فيهفو لِلّقا إخوان

يا تونُسَ الخضراء عهدي بالهوى
صافٍ وعهدي في الرُّبا رَيْحان

ما بال زهرك لا يُرفرِفُ بالنَّدى
صُبْحاً ولا تَضْحى به ألوان

حالَ الهوى عن عهد أحمدَ وارتخَتْ
منْكِ العُرى وتبدّلت أزمان

لولا ندى الإيمان ما حَمَلَ الثّرى
نبتاً ولا غنّتْ بك الأفنان

ردّي لِمصْرَ إذا نظرْتِ لنيلها
عُتْبى لمن صُرِعوا هناك وبانوا

الضّفّتانِ رُؤىً يَضُمُّ شتاتها
أيْك وتطوي ذِكْرَهَا الأغصان

ومساجدٌ نضّ الهوى بقبابها
جُنْحيهِ فانتفضَتْ لها أحزان

الذكرَياتُ علـى رُباهـا زهـــرةٌ
فيطيــبُ عنـد شميمهـا السُّلْوان

* * *

مـا بالُ أنـدلُسٍ تجـفُّ ورودُهـــا
شجنـاً ! أصوَّحَ عندهـا البستـان
كـم كُنتِ حالِيَةً وكـلُّ حُـلاكِ مـن
وَمْضِ الهُـدى وقِلادُكَ العِقيـــان
أهـدى لَكِ الإسلامُ أغلــى دُرَّةٍ
وحَباكِ ثوبَ زفافِكِ الإيمـــان
تمضينَ والأيـامُ تنشُرُ وُدّهـــا
طِيبـاً فتنفُضُ عِطْرهـــا الأردان

* * *

يـا لوعـةَ الأقصى ! ودوَّتْ صـرخـةٌ
يطـوي صداهـا ذِلّـةٌ وهـــوان
أيـن التُّقـاةُ ! ومـا تقـومُ بآيــةٍ
إلاّ وكان صدى القيامِ سِنـــان
تحني الرُّؤوسَ لذي الجلالة سُجّداً
ويَمُـدُّ مـن عليائـها الميـــدان

وتلفتَ الأقصى لمكّةَ لوعة
أُختاهُ ! تنهشُ أضلُعي الغِربان

أختاهُ ! أين المسلمون وحشدُهُم
أين الملايينُ الغُثاءُ ! أهانوا ؟

أختاهُ ! وانقطَعَتْ حبالُ ندائِهِ
واغرَوْرَقَتْ من دمعه الأجفان

وهوَتْ معاوِلُ كيْ تَدُقَّ حياضَهُ
وهوَتْ على أمجادِهِ الجُدْران

* * *

أمقامَ إبراهيمَ والبيتُ العتيقُ
هُدىً وآياتٌ له وبيان

الطّائفون الرّاكعون لربّهم
خَفَقَتْ قلوبُهُمُ وضجَّ لسان

تتزاحَمُ الأقدامُ في ساحاتِه
وترِفُّ بين ظلالِه الأبدان

وَمِنىً صدى رَبَواتِها التوحيد
والتكبيرُ والإخبات والإذعان

عرفاتُ ساحاتٌ تضجُّ ورحمةٌ
تَغْشى ودمعٌ بينها هتّان

لبّيْكَ يا اللهُ ! وانطلقَتْ بها
رُسُلٌ وفوَّحَتِ الرُّبا وجنان
لبّيك والدُّنيا صَدًى والأُفْقُ يُر
جِعُها ندىً يَبْتَلُّ منه جَنَان

* * *

أينَ الحجيجُ ! وكلُّ قلبٍ ضارعٌ
ومشارِفُ الدُّنيا له آذان
نَزَعوا عن السّاحات وانطلقت بهم
سُبُلٌ وفرّقَ جمعَهُمْ بُلدان
وطوتهُمُ الدُّنيا بكُلِّ ضجيجها
وهوىً يُمزّقُ شملَهُم وهوان
ومضى الحجيجُ كأنّهُ ما ضمَّهُمْ
عرفاتُ أو حَرَمٌ له ومكان
بالأمس كم لبّوا على ساحاته
بالأمس كم طافوا هناك وعانوا
عرفاتُ ساحاتٌ يموتُ بها الصّدى
وتغيبُ خلفَ بطاحه الألوان
لم يَبْقَ في عرفاتَ إلاّ دمعةٌ
سقطت فبكّتْ حولها الوديان

هـي دمعةُ الاسلام يلمـعُ حولهـا
أمـــلٌ وتُهْـرَقُ بينهـــا الأحـزان

* * *

يا أمَّـــةَ الاسلام قــد عَظُـمَ البلا
وارْبَــدَّ في ساحــاتِــكِ الطغيان
أقْلَتِّ حبل الله وارتحت العُـــرى
وجَـرَتْ على ساحاتك القطعـــان
وَهَجَـرْتِ قرآنـاً وسُنَّـةَ أحمـــدٍ
يـا وَيْـــلَ مَـــنْ ينـأى بـه الهُجران
لَوَيْتِ عنـه الطَّرْفَ فانتفضَ الأسى
يلـوي زمـامَ قيـادِك الشيطـــان
لـوّتْ بكِ الأيـامُ في حوماتهـــا
ورماكِ بيـن ضُروسِهِ العصيـــان
دارَتْ بـك الآثـامُ موجـاً عارمـاً
وهَوَى بقـــاع صديدهـــا الشبّـان
ونبـا عـن السّاحات عِلْمُكِ وَانطـوى
ثَوْبٌ يلُمُّ ذيولَـــهُ الخُـــسران

* * *

أصحابَ أحمدَ ! أينَ منا جولةٌ
بَرِقَتْ على رهجِ القنا الشُّهبان
أكتائِبَ الرّحمان أين رسالةٌ
فَتَحَتْ قلوبَ العَالمين فدانوا
قومي انظُري الأحفادَ ! كيف نفوسُهُمْ
هانَتْ عليها المكرُماتُ فهانوا
رُدّي علينا من هُداك ولقّني
شرفاً : حياضُ الدّين كيف تُصان
وضعي على الكفّين بارق صارمٍ
لله ! تهوي دونه الأوثان
واجلي القُلوبَ بفيض نورِ مُحمّد
لا الشِّركُ بين شِعافِهَا والرّان
هلاّ أعَدْتِ إلى الرُّبا يرموكها
والشّاطِئانِ من الدّماءِ دِهان
هلاّ أعَدْتِ إلى القلوبِ يقينها
والبُشْرَياتُ بواضِرٌ وجِنان
عهدٌ مع الرَّحمان أوفى حقّهُ
التوراةُ والإنجيلُ والقرآن

جولة الإيمان في تلّ الزعتر

رُدَّ السُّيوفَ إلى الأَغْمادِ وانْتَظِرِ
ما يَنقُلُ « التلّ » مِنْ هَوْلٍ وَمِنْ خَبَرِ

هُناك .... دُنْيا المُرُوءات الّتي انْتَفَضَتْ
عَلَيْكَ في وَثْبَةٍ وهّاجَةِ الظَّفَرِ

جَرَحْتَ أطْرافَ لِيْنٍ مِنْ إباءتِها
في لَمْحَةٍ مِنْ أَنَاةِ الصَبْرِ والحَذَرِ

وَللإِباءة لِيْنٌ وَهْيَ شامِخَةٌ
على رَعاديدَ مَالُوا أوْ على غُدُرِ (1)

حَتَّى انْجَلى صبْرُها عَنْ وَمْضٍ مُحْرِقَةٍ
مِنَ الصَّوَاعِقِ أوْ خَطفٍ مِنَ الشَّرَرِ

---

(1) جمع غَدُور وهو كثير الغدر .

وَعدْتَ هَرْوَلَةً حَيْرَانَ مُنْكَمِشاً
تلوذُ في عَثَراتِ الذلِّ والصِّغَرِ
يَا « ابْنَ الكتائِبِ »...! وَيْلٌ مِنْ مُجالَدَةٍ
تَرُومها ! فانْظُرِ الأحداثَ وَاعْتَبِرِ
رُدّ السُّيوفَ على أَثْلامِهَا طُوِيَتْ
إنْ لَمْ يَعُدْ لِحَياءٍ فِيكَ مِنْ أَثَرِ
هِيَ المروءة ! خَجْلَى ! .... كُلَّما نَظَرَت
إلَيْكَ أغْضَتْ بِطَرْفٍ عَنْكَ مُنْكَسِرِ.
هِيَ الرجولَةُ غَضبى ! ... كُلَّما التَفَتَتْ
إليك مالَتْ بعَيْنِ السُّخطِ والكَدَرِ
فَلا السُّيوفُ التي جَدَّدْتَ مُنْجِيَةً
وَلا الوُجُوهُ التي أَخْفَيْتَ بالعُذُرِ(١)
مَضَى بأَقنعَةٍ خَرْساءَ مُسْتَتِراً
خلْفَ الصّليبِ غَرِيبُ الوَجْهِ والصُّوَرِ
أزِحْ صَليبَكَ ... ! نَنْظُرْ أيَّ مُقْتَحِمٍ
عَلَى الحِمَى ، أوْ دَعِيٍّ كاذِبٍ أَشِرِ
مَا بَيْنَ كُفْرٍ صَرِيحٍ في عَدَاوتِهِ
وَبَيْنَ دَسٍّ على الأَدْيَانِ مُعْتَكِرِ

* * *

(١) جمع عَذير وهو النّصير .

« مُخَيَّمَ التلّ » كَمْ وشَّيْتَ ناحِيَـــةً
وكَمْ نَثَرْتَ على الأطْلالِ مِنْ زَهَـــرِ
تَنَفَّسَ الصّبْحُ وَالآمالُ زاهـــرَةٌ
تَفَتَّحَتْ عَـنْ شبابٍ زَاهِـرٍ عَطِـــرِ
رَعَيْتَهُ زَمَناً في ظـلٍّ حانِيَـــــةٍ
مِنَ الضّلُوع وشَوْقٍ بالمُنَـــى خَضِـــرِ
غَزَوتَهُ مِنْ لِبانِ الحقِّ مَكْرُمَـــــةً
هَدْيَ الحنيفَـةِ في قَلْبٍ وفي بَصَـــــرِ
نَمَا .... ! فكان الفَتـى ! أنْظَارُه عَلِقَتْ
هُنَاكَ .... بالكرْم ، بالسَّاحات ، بالنَّهَرِ
بِزَقْزَقَاتٍ عـلى الأَغْصانِ لاغِيَـــةٍ
بِجَدْوَلٍ ضاحِكٍ بالوَرْد مؤتَـــــزِرِ
بِساحة المَسْجِدِ الأقْصَى ورايتـــــهِ
ومُرْتَقى مُعْشِبٍ مِنْهـــا ومُنْحَدَرِ
بالوَحْي ، بالنُّورِ ، بالتاريخ مِنْ حِقَبٍ
زَخّارَةٍ بِعَطَـــاءِ الحَـقِّ ، بالسِّيَـــرِ
يَهُزُّهُ الشَّوْقُ والتحنـان مُضطَرِبـــاً
إلى حَنانٍ وَشَوْقٍ في الرّبـــى نَضِـــرِ
هناك .... تَخْتصِرُ الأزمانَ نَظْرَتُهُ
وَتَلْتَقِي عُصُرُ التاريـخ بالعُـــصُرِ

هُناكَ .... أَنظارُه ظَلّتْ مُعَلَّقَةً
يُقَلِّبُ الطَرْفَ في دُنْيا مِنَ الذّكَرِ

* * *

وظهرُه لذوي قُرْباه مُنْكَشِفٌ
على مواثيق أَغْنَتْه عن الحذَرِ
حتّى دَمَتْ خلفَه أصْداء نازلةٍ
وأطبَقَتْ حَوْلَه مَحْمُومَةٌ النُذُرِ
هزّتْهُ وانتزَعَتْهُ فاسْتَدَارَ لها
مُسْتَبْشِراً بقضاء الله والقَدَرِ
نادَتْهُ رابيَةٌ مِنْ خَلْفِ رابِيَةٍ
لِمَ التِفَاتُكَ الغَضْبى ....؟ إلى خَطَرِ...
غداً سألقاكِ في بُشْرَى مُعَطَّرَةٍ
مِنَ الشهادَة أو في زهو مُنْتَصِرِ
وعداً من الله إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ لَنَا
ووعده الحقّ.. !جَدّ الأمر.. ! فانتَظرى..
وهبّ مِنْ خيمَةٍ مُلتاعَةٍ وَمَضَى
لخَنْدَقٍ في حنايا الدار مُصْطَبِرِ

* * *

تَفَجَّرَ الحِقْدُ أهوالاً مُدَمِّرَةً
تَمُورُ أحشاؤها مَوْراً على سُعُرِ

تُلْقـــي بِــهِ حُـمـمـــاً سوداء قاتِمَـةً
وتَنْجَـــلي عن لظـىً في الدارِ مُسْتَعِرِ
يَطْوي النهـــارَ ليـالٍ من دَوَاكنهـــا
ومن سَوَادٍ عـــلى الآفـــاقِ مُنْتَشِرِ
وأطْبَقَتْ لُجَـــحُ الأحْقـادِ وانتَشَرَتْ
تُقيـمُ حـولَكَ مِنْ سُورٍ ومِنْ جُدُرِ
وَمَـــا دَرَتْ أنَّ عنـــد الله كـــاشِفَـــةً
لِكُلِّ مُنْغَلِقٍ من كَيْدِها القَـــــدَرِ

* * *

صَبَرْتَ في خَنْدَقٍ دامٍ تَشُقُّ بِهِ
دَرْباً عـــلى صُـــدُقٍ لله أوْ صُبُرِ
أرَاعَـــكَ الطفــلُ لــمْ تدْفعْ بَــرَاءتُــهُ
ولا ابتسامَتُـــه وحشاً مِـنَ البَشَرِ
جَـــرَى ليلقــاه مُغتَـــرّاً بطلعتـــــه
يَظُنُّـــه جارَه للمـــأزق الخَطــرِ
«عَمّـاهُ» ما لَمَسَتْ أطرافَ مَرْحَمَةٍ
ولا حنايـــا قريبٍ أوْ أخـي حَضَرِ
فَحَزَّهُ ورمـــى الأشلاء واختَلَطَتْ
مـع ابتسامَتِــهِ أصْدَاء مُحْتَضِـــرِ

أَم الصَّبَايـا إِذا هَبَّتْ أوِ ابْتَـــدَرَتْ
عزائمــاً في ظلال الحُسْنِ والخَفَرِ
تصوغُ مــن حَلَبَـاتِ المجْـدِ حليَتَهـا
وتنتقـي للياليهـا مِـنَ الـدُّرَرِ
ضفـائِرُ الفـارِ مالَـتْ في تَمَوُّجِـهَا
على الميادينِ ظـلاً غيـرَ مُنْحَسرِ
حَنّتْ لَهَا خَطَراتُ العيدِ واضطَرَبَتْ
لذِكْـرِ أمجَـادهـا خَفّاقَةُ الأُزُرِ
أم الثكالى وقَـدْ ألْقَتْ على غُصَـصٍ
أفلاذَهـا فَتَلَقَّتْ غُصَّـة الخَبَـرِ
أم اليَتَـامـى عـلى حَـدّ الظبا انْتَشَرَتْ
أشلاؤها قِطَعـاً مـوصولة الصُّوَرِ
صَبْراً فَتَى «التلّ»! كم أَطْبَقْتَ من هُدُبٍ
على شهِيّ المُنـى في دَرْبِـك الوَعِرِ
حتى جَلَوْتَ عَـلى المَيْـدَانِ صُورَتَها
نَدِيّةَ الذّكْرِ أوْ مُخْضَلّةَ العُمُـرِ

* * *

كتائبَ الغَدْرِ ! لا رَوَّيْتِ حاقِـدةً
من النَفـوسِ ولا أَشْبَعْتِ من نَظَرِ

أمامَكِ « التلُّ » تَروّي مـن مشاهِـدِه
طَرْفـاً يَعُدُّ خاسِئاً بالعـار والكَـدَرِ
ظَنَنْتِهِ هَيِّنـاً لانَتْ مَشارِبُـه
فارتَدَّ كالطَّوْدِ يَدْوي آية العِبَـرِ
كمْ جَولـةٍ حَشَدَت فيهـا ظنونُهُـمُ
هَوْلاً من الكِبْرِ عادَتْ عَوْدَ مُنْدَحِرِ
تَجَرَّعُوا حَسَرَاتٍ مِنْكَ قاتِلَـةً
ولَوَّعَتْهُمْ لـيالـي النَّحْسِ والنُّكُرِ

* * *

صفائحَ الزّنك كمْ أفنيْتِ قُنْبُلَـةً
وكم أَبيْتِ عـلى الأحـداثِ والغِيَرِ
نَشَرْتِ مِنْ ظِلّكِ الممتَدّ أَجْنِـحَـةً
تَضُمُّ شارِدَةَ الآمـالِ والأُثُـرِ
شبابُكَ الصيِّـدِ أغْنَتْهُمْ خيامُهُـمُ
عن القُصُور وعن لَهْوٍ وعـن سَمَرِ
تَطَلّعُوا... فاشرَأَبّتْ من تَطَلُّعِهِـم
إلى العُلا أَنْجُمٌ مشدوهـةَ النّظَرِ
رَأَتْ عُـلاهـا تَدَنّـى عَنْهُمُ وَمَضَوْا
إلى عُـلاً مُشرِقٍ بالنّـورِ مُزْدَهِرِ

هناك .. ! فُتِّحَتِ الجَنَّـــاتُ واثتَلَقَتْ
لَهُمْ مقاعِدُ مِنْ نُورٍ ومِنْ زَهَـرِ
فاقبلـوا لنَعِيم الخلـــد صادقَـــةً
نفوسُهُمْ زمـــراً موصولة الزمـــرِ
مِنَ الألى صَدَروا عَنْ فِطرَة وَمَضَوْا
على هُدَى الله مِنْ آيٍ ومِـــنْ سُوَرِ
على مَدَى الدهرِ كمْ جالـت مَوَاكِبُهُـمْ
مَضْفورةَ الغار أوْ وَهَّـاجَةَ الغُرَرِ
مواكِبَ الحقّ ! جوزي كـلّ ضائقةٍ
ورَجّعي زَهْـوَ مجـدٍ غير مُنْدَثِـرِ
لا تحزُنَنَّكِ أرْحـامٌ اذا قطِعَــتْ
حينـاً وصيّرتِ الآساد كالهِـــرَرِ
لم يحفظـوا العَهْـدَ فارتَدَّتْ عواقِبُهُـمْ
إلى مَزَالق مـــن نارٍ ومِنْ حُفَـــرِ
تَجُـرُّ في وحْشَة الظَلْمَـــاء ذِلَّتَهـا
على صَدَى نازفٍ مِـنْ جرْحها الغَبِرِ (١)
نَهَضْتَ يا « تَلُّ » فانْفَضَّ الظَلام عـــلى
كَوَاكِبٍ نَثَرَتْهَا هالَـــةُ القَمَـــرِ

(١) الجرح الذي لا يزال ينتقض .

قَالُوْا سَقَطْتَ أَوْ اسْتَسْلَمْتَ مـا صَدَقوا
وأنْت لؤلؤة الأمجـادِ والظَّفَـــرِ
نِلْتَ الذي رُمْتَهُ ، بَـلْ جُزْتَهُ شَرَفاً
عَلَى عُلُوّ الـذي تَرْجُــو مِـنَ القَدَرِ
وَبَاءَ غَيْرُكَ ....! لَمْ يَظْفَـرْ بِمَكْرُمَـةٍ
تَخَطَّفَتْهُ الدّنايـــا خَطْــفَ مُهْتَـــصِرِ
هَوَى وخَلَّـفَ أشلاءَ مُمَزَّقَـــــةً
مِـن المُرُوءَةِ بَيْــنَ النَّــابِ والظُّفُــرِ
يَهْـوِي فَتَعْلُــو ، وَيَسْتَخْذِي فَتَنْهَضُ مِنْ
عُــلًا عَلـى وَثَبَاتٍ للعُـلا حُمُـــرِ

* *

واهـاً على أُمّـة الإسلامِ صَيَّـــرَهَا
حُــبُّ الحياةِ غُثـاء السَّيْلِ والنَّهَـــرِ
مَالــوا إلى عَرَض مـن دينِهِـمْ فَرَضُوا
وَأدبَرُوا عَنْ جِهَادِ مُـــورِق خَـــضِرِ
مُدَّتْ لَهُمْ بُسُطُ الدُّنْيا مُرَفَّهَـــــةً
على فراش نَـدِيّ الطِّيْبِ والسُّتُـــرِ
وأسلموا للعِـدَى أَعْنَاقَهُـمْ ذُلُّـــلَاً
عَلى شِفَارٍ تُدَمِّــي رَعْشَةَ الخَـــوَرِ

يا أُمّةً عَرْبَدَتْ أهْواؤهـا فَجَــرَتْ
على أَعَاصِيرِهَا مَجْنُـونَـة السكَـــرِ
ماتَتْ بِهِـمْ هِمَمُ الأَبْطَالِ وانْطَلَقَــتْ
عَلَى السُّرَى هِمَـمُ الأشبـاهِ وَالصُّوَرِ
رَمَتْ بِهِمْ عَـنْ سُرُوجِ العزّ أَحصِنَةٌ
وَمَرّغَتْهُمْ عَلَى الأوْحَالِ والعَفَـــرِ

* * *

مَسَارِحَ الشَرْق ...! كَمْ أَخْرَجْتِ دامِيَةً
مِنَ المَآسي وكَمْ مَوَّهْتِ مِنْ خَبَـــرِ
تَحَرَّكَتْ خَلْفَـكِ الأشباحُ صامِتَــةً
وَأنْطَقَتْ «بَبَّغَـاوات» مِنَ البَـــشَرِ
وَحَرَّكَـتْ مِنْ دُمىً لانَتْ على يَدِهَـا
وَدونَهَا الشَعْـبُ في تِيـهٍ وَفي خَـدَرِ
مُصَفِّــقـاً لبطولات مُزَيَّفَــــةٍ
بِكُــلّ لَـوْنٍ مِـنْ الألـوان مُبْتَــكَرِ

زهير المُزوَّق

حياته :

ولد زهير بن أحمد المزوّق عام ١٩٥٦ م في قرية مَرْعَنْد التابعة لمدينة جسر الشغور في سورية. وبعد أن أنهى مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي حصل على شهادة الدراسة الثانوية عام ١٩٧٨ م.

ونشأ زهير في أسرة مسلمة وعاش في منطقة نعمت بالأدب والأدباء وابالشعر والشعراء .. منطقة توارثت الأدب منذ مئات السنين .. وما زالت تحافظ عليه وتبدع فيه وتقدم للأمة نماذج من الأدباء والشعراء قلّ أن يجود الزمان بمثلهم .. في هذا الجو الأدبي عاش شاعرنا وتتلمذ على أستاذه الأديب الاسلامي القاصّ إبراهيم عاصي ، ونال منه رعاية خاصة وتشجيعاً كبيراً . وبدأ الكتابة في النواحي الأدبية وهو ما زال طالباً في المرحلة الإعدادية. وازدادت رغبته في متابعة الكتابة ونظم الشعر عندما تعرف على

نخبة من أدباء سورية وشعرائها منهم الأديب الإسلامي عبد الله طنطاوي والشاعران الاسلاميان محمد الحسناوي ومحمد منلا غزيل .

وبدأ عام ١٩٧٥ م بنشر المقالات الأدبية التي يكتبها والقصائد التي ينظمها في مجلتي « حضارة الاسلام » و « الثقافة الاسبوعية » الدمشقيتين ومجلة « الضاد » الحلبية .. وشارك في المعارك النقدية دفاعاً عن الشعراء والكتّاب الإسلاميين .

شعره :

زهير شاعر من الشعراء الذين آمنوا والتزموا الإسلام عقيدة ومنهاجاً لحياتهم .. تربّى ونشأ في بيئة إسلامية ، وكتب ونظم بوحي من تعاليم الإسلام .. فجاء شعره تعبيراً عن الفطرة النظيفة ، ووصفاً للحياة كما ينبغي أن تكون .

وإذا كان الشعر تعبيراً عن أفكار يؤمن بها الشاعر ، وإفصاحاً عن عواطف في لحظة انفعال صادقة .. فإن شاعرنا قد عبّر عن أفكاره أصدق تعبير ، وأفصح عن عواطفه كل الإفصاح .. فالشعر عنده مشكاة تنير النفوس والدروب .. قال في فاتحة مجموعته الشعرية « هذي الألحان إليك » :

لا أقبلُ الأشعار : نبع غوايَـــةٍ
وإثارةٍ .. لغرائـــز الإنـــسانِ

فالشّعرُ صوْتُ الثائريـن علـى الخَنـا
وعلى الهـوى .. وتسلُّـــطِ الطُّغيانِ
والشعرُ مشكاةٌ تنيـــرُ نفوسنـــا
ودروبنا .. بوميضِهـــا الفتّـــانِ

فالقارىء لشعره يجد الفكرة النيّرة والبيان الواضح والأسلوب العذب .. في رقة وإيجاز .

لقد عاش زهير مشكلات أمته ومجتمعه وأحسّ بخطورة هذه المشكلات وما تجره على الأمة الاسلامية من مصائب وويلات عانت منها شعوب أُمتنا الكثير .. واستجابة لهذه المعاناة وذلك الإحساس نظم قصيدة بعنوان « لون من الحزن »[1] انتقد بها بعض الأوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة .. وحمّلها سيطرة الحزن على النفوس .. والشقاء الذي يملأ الحياة المعاصرة .. قال فيها :

أكابـد في المساء وفي الصبـاح — هموماً عاصفاتٍ .. كالرياح
تقاذفت الفؤاد .. وأرهقتـه — بـوخزٍ .. دونه طَعنُ الرماح
فإن مــرّ السرور عليّ يومــاً — تَجهَّمَ ، ثم أعرض في جِماح
كأني خصمُهُ العاتـي ، وأنـي — سأشهر حينما يدنو سلاحي
وسرُّ الحـزن عنـدي أنّ أرضي — تباحُ ، ويا لمأساة المبـــاح !

---

(١) من مجموعته الشعرية « ضد التيار » .

وأنَّ العدل والإيمان فينا   وأنّ الحبَّ مكسورُ الجناح
وأن البوم يسعدُ وهو بومٌ   ويشقى منْ تغرّدَ بالصَّداح

وفي هذا الزمن يتعرض المؤمنون المجاهدون إلى ألوان كثيرة من التنكيل والمؤآمرات والتصفيات في عدد من ديار المسلمين . وتحارب كلمة الحق في تلك الديار .. ويستمع شاعرنا إلى صوت الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال وهو يخاطب المسلم في كل بقعة من بقاع الأرض قائلاً :

قم وانشر التوحيد في الدنيا ووحّد الأممْ ..
فأنت خير من دعا وأنت خير من حكمْ .

فينظم قصيدة رمزية بعنوان « البلبل الجريح »[1] يوجهها الى كل مسلم .. للثورة على الجاهلية .. يقول فيها :

أسعدَ الله صباحَكْ   ومن الغدر أراحَكْ
أيها المجروحُ : قلْ لي   هل شفى المولى جراحَكْ
لم نَزلْ مُذْ رحت نبكي   أيها الشادي .. رواحكْ
كيف لا نبكي .. وإنا   لم نعد نلقى صداحكْ ؟

* * *

يا سمير الروح ، ملّتْ   هذه الدنيا .. العُواء
وغدت تهفو لِلَحنٍ   ساحر .. أنّى تراءى !

---

(١) من مجموعته الشعرية « ضد التيار » .

فاترك الصمتَ وحيـداً واعتلِ هـذا الفضاءَ
وامـلأ الدنيـا صداحـاً آه، ما أنـدى صداحك!

* * *

لا تخف من بطش ريح روّع الكون أذاها!
لحنُكَ العُلويُّ سحرٌ رائعٌ، ليس يُضاهى
فاجعل الصبرَ مِجَنًّا وانتظر، تغني قواها
واملأ الدنيا صداحاً إننا نهوى صُداحكْ

ويرى الشاعر دعاة الحق يثبتون كالطود أمام الطغيان، ويحدثون في أبناء الأمة تغييراً ملحوظاً في الفكر.. وفي السلوك، وتلوح تباشير النصر في عدد من البلدان.. فينظم قصيدة بعنوان «الركبُ.. والطغيان[1]» يقول فيها:

يا أيها الطغيانُ: لن تقوى على ركب التُّقاةِ
فالركبُ ماضٍ في سبيل الله.. رغم النائباتِ
قد هبَّ من بعد السُّباتِ، ولن يعود الى السُّباتِ
هيهاتَ.. يوهنُ عزمَهُ صفْعُ الخطوب الكالحاتِ
هيهات.. يهدأُ قبل تطهير الدُّنا من كل عاتِ
فالزمْ جحوركَ إن رأيت الركب كالإعصار آتِ

* * *

(١) من مجموعته الشعرية «ضد التيار».

وتسامقتْ قِمَمُ الهـداية والتُّقى .. قممُ الأُبـــاةِ
فإذا بشرع الظلـم والإلحـاد آذنَ بالشتـــاتِ
وعلى شفاه الكونِ همسٌ ساحرٌ .. كالزقزقـــاتِ
مـا أروع الأيـام في ظـلِّ الهدايـــة والهُــداةِ
عيشٌ تكللـهُ السَّعـادةُ في ظـلال المكرمـاتِ
أحبِـبْ بـه .. وبنفحـهِ الأسمى ، وطوبى للتُّقـاةِ

ويرى زهير أن على الشاعر المسلم أن يجسد بشعره التصور الإسلامي المتكامل عن الكون والحياة والإنسان .. ومن هذه الرؤيا ينطلق ليبين لنا منهجه في الحياة ، فنراه ينظم قصيدة بعنوان « الحب والحياة »[1] .. قصيدة تحمل عاطفة الحب إلى الإنسان .. كل إنسان .. يتحدث فيها عن العواطف الإنسانية النظيفة .. التي تشعر الإنسان بجمال الحياة في ظل مبادىء الحق ، وتبين أن طبع المسلم دائماً حب الخير والهداية لكل بني الإنسان ، يقول فيها :

إن يرشقوا بالغِـلِّ أغمرهـم بمحبَّـةٍ جلَّـت عـن التُّهَمِ
أو يقذفـوا بالـشرِّ أُنعشهـم بسماحتـي ، وأُريهم كرمي

ثم يوجه نصيحته النابعة من تصور الإسلام وتعاليمه فيقول :

---

(١) من مجموعته الشعرية « ضد التيار » .

فالبغضُ والأحقادُ إن جُمعا ... شبّ الشّقاءُ بهامة الأممِ
وتقوضت أركانُ عِزّتها ... بعد الشّموخ الفذّ كالقممِ
يا من تمشّى الغِلُّ في دمه ... واستعذب الإبحارَ في النّقمِ
وغدا عن الأخلاق مبتعداً ... من غير ما أسف ولا ندمِ
دعْ عنكَ هذا ، إنّه سَفَهٌ ... وارجع لرشدك في حمى القيمِ

ولشاعرنا ألوان أخرى من الشعر .. ومن هذه الألوان قصيدته في الغزل العذري التي بعنوان « الحُبُّ المطلق »[1] .. هذه القصيدة نظمها عندما رأى تقصير الشعر الإسلامي في هذا اللون من الشعر .. فقال فيها :

يا واحةً .. ظليلةً ... تحنو على قلبي الشّقي
روحانِ ، نحن ، دائماً ... نحيا بإخلاصٍ نقي
فحبُّنا .. منزّهٌ ... سامٍ كطُهر الشّفق
وشوقنا .. إن نفترق ... إلى اللقاء المشرق
عَذبٌ .. كأنفاس الضحى ... ثرٌّ .. كنبع مغدق
فلنبقَ روحين معاً ... رمزاً لحبّ مُطلقِ

انتاجه :

١ ـ أعدّ كتاباً بعنوان « فصول في اللغة والأدب » ومعظمه قضايا أدبية للنقاش .

---

(١) من مجموعته الشعرية « هذي الألحان إليك » .

٢ ـ مجموعة شعرية بعنوان « هذي الألحان إليك » ، وتدور قصائد هذه المجموعة حول المرأة من خلال التصور الاسلامي لها . وقدّم لهذه المجموعة الأديب الناقد الأستاذ عبد الله الطنطاوي وقارن فيها بين تصور شاعرنا لمهمة المرأة في الحياة وموقفها من المجتمع الذي يكوّن الأمة وبين موقف نزار قباني الذي يهبط بالمرأة الى حضيض الشهوة الحيوانية .

٣ ـ مجموعة شعرية بعنوان « ضد التيار » .

مختاراتنا من شعره :

١ ـ « سقوط كسرى » .. قصيدة سياسية نظمها الشاعر عام ١٩٧٩ م على أثر انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام المجاهد آية الله الخوميني .. تلك الثورة التي أظهرت عظمة الإسلام وروعته من جديد ، وغيرت موازين القوى في العالم ، وبينت للناس أن الإسلام سيبقى الشعلة المتقدة التي تنير للناس طريق حياتهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٢ ـ « النساء » ، نظمها عام ١٩٧٧ م .

٣ ـ « يعربية » ، نظمها عام ١٩٧٨ م .

وهاتان القصيدتان نموذج من شعر الشاعر في المرأة ، وهو الموضوع الذي أولاهُ اهتماماً خاصاً وأفرد لــه مجموعة

شعرية بعنوان « هذي الألحان اليك » .

والواقع أن قضية المرأة قضية حساسة تتفاعل منذ أقدم العصور في كل مجتمع ، وتتأثر المجتمعات مع الوجهة التي شكلها هذا التفاعل ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ...

وفي العصر الحديث اتخذت الهجمة الاستعمارية على العالم الإسلامي مسارات متعددة وسارت في شعاب كثيرة ، وكان أحدها ، ومن أهمها ، قضية المرأة ، فحاول الاستعمار الصليبي عن طريق المرأة أن يهدم المجتمع الإسلامي ويسيطر عليه .

ومن وسائله في ذلك اتخاذ صنائع له من بين الكتّاب الذين ماتت ضمائرهم وتبلد شعورهم وفقدوا نخوتهم ، فوجه هؤلاء التابعين للعمل على إخراج المرأة المسلمة من خدرها وانغماسها في زينتها وشهواتها ، فعمل هؤلاء كما رُسم لهم وخُطط ، واستطاعوا أن يغروا جانباً من النساء المسلمات على سلوك الطريق المؤدي إلى الهاوية ...

وليس كل كتّابنا ممن يقبل الخنوع وبيع الضمائر ويُعبَّد للشهوات ، فقد هبّ أصحاب النخوة الاسلامية يردون الشاردات إلى الحظائر ويشدون بكتاباتهم من أزر الحرائر ، فقدموا نماذج من المسلمات المجاهدات ، وبينوا السبيل أمام الفتيات المؤمنات حتى يتجنبن المزالق ويتحامين الشهوات ..

ومن هؤلاء الكتّاب الذين اهتموا بموضوع المرأة شاعرنا المزوّق ، فزوّق للفتيات قصائد تحث على الفضيلة وتنعي الرذيلة ، وترسم للمرأة أهدافها وتضع أمامها مُثلها حتى تكون الزوجة الصالحة والأم العاملة لتكوّن الأسرة الفاضلة.

سقوط الكسرى

هَبَّتْ تُحطِّمُ حكمَ الشاه إيــرانُ
وراحَ يفتكُ بالأصنام إيمـــانُ
فيا فؤاديَ حلِّـقْ فـوق أجنحـةٍ
مـن السرور . فكمْ هدَّتكَ أحــزانُ
ورتّل الشعرَ ألحانـاً مُهفهفـــةً
وكم تطيـبُ معَ الأفــراح ألحــانُ !
فيا حدائـقَ هَمْدانَ ارقصي طربــاً
وشاركيني ابتهاجـي يـا عَبــادان
وَصُبَّ خمركَ يا (كارون)[1] في غدقٍ
واسقِ العطاشَ فإنّ الروحَ ظمــآنُ
قد عادَ وجهكِ يا طهرانُ مؤتلقــاَ
عَروسةُ النجم بعدَ النصر طهــرانُ
ما العيدُ إلاّ انتصار الحـق نطلبُــهُ
والحقُّ يعلو ، ويروي الزيفَ نكرانُ

* * *

(١) كارون : نهر ينبع من شط العرب ويمر في إيران .

قد كان يحكـمُ شاهُ الزيف دولتهُ
ليستقرَّ لـهُ جاهٌ .. وسلطـــانُ
فالدكتوريَّةُ الرعنـاءُ شامخـــةٌ
والشعبُ يرهقـهُ قيـدٌ وسجّـانُ
فلا صريـرٌ لأقـلامٍ .. منزهـةٍ
ولا لرأي نزيـهٍ .. مسلمٍ .. شانُ
يسعى ليطفيءَ نورَ الله في عَنَـتٍ
والمارقونَ بشرع اللهِ عميـــانُ
لكنّما الله يأبى مـا يُدَبِّـــرهُ ..
فخاب قسراً كأسلافٍ لـــه كانـــوا
إذْ هـزَّ إيرانَ صوتُ الحـق في غضبٍ
ليست تسودُ مع التنكيل أوطـــانُ
فكيف يرضى بِذُلِّ العيش ذو أنـــفٍ
وكيف تُعبدُ دونَ الله أوثـــانُ ؟!

* * *

وحصحصَ الحقُ .. وانداحَتْ فيالقُهُ
والمؤمنون بيوم الـروع شجعـانُ
لقد أطاحَ بكسرى الفرسُ وانطلقـوا
ينيرُ دربَهـمُ في التيـه فرقـــانُ

دارتْ عليه رحى الثوار طاحنةً
لم يُنجِهِ منهمُ بغيٌ وعدوانُ
فجاء أُسوانَ يستجدي حمايتها
يا ليت شعري . أترضى ذاكَ أسوان !؟

* * *

كم ذا تألَّهَ مُغترٌّ بسطوتِهِ
فكان دَيدنُهُ قهرٌ وطغيانُ
تعنو الرقابُ له في كلٍّ ناحيةٍ
كأنها وهي في الإذلال خرفانٌ
حتى طوتهُ بإذن الله سنتُهُ
وفي الحوادث والأيامِ برهانُ

* * *

يا ثورةً في رُبى إيرانَ أشعلها
كفٌّ الخميني وفي الأضلاع بركانُ
والشعبُ من خلفه عنوانُ ملحمةٍ
بها الكرامة .. والتاريخُ يزدان
أحييتِ في النفسِ آمالًا مُضيَّعةً
فراحَ يعبقُ بالآمال وجدان

لكِ المحبةُ والتأييدُ نرفعـــــــهُ
وإنْ تنكّـرَ حاخــامٌ ومطـــــرانُ

يـا آيـةَ اللهِ يا نبراسَ ثـورتهـــا
يـا منْ أقيمَ بـه للحـقِ ميــــزانُ

إليكَ أرفع أبياتي وفي كبــــدي
عطرُ الودادِ ، ومـا في الـودِّ بهتـانُ.

النّساء[1]

سَكَنُ الفؤادِ بِقربِهنّهْ . والعيشُ مرٌّ بعدهنّهْ
ولظى الحياةِ ، إذا يواسينَ المصابَ ، نسيمُ جنّهْ
سبحانَ منْ منحَ النساءَ لطافةً في طبعهنَّهْ
فإذا لَها[2] الشُّعراء ترسلُ لحنَها .. في مدْحهنّهْ
وتنمُّ عن ظمإ النفوسِ إلى غديرِ سمّوِهنّهْ
أكرمْ بهنَّ وقد حجبنَ عن العيون جسومَهنّهْ
ومكثنَ في ظلِّ الفضيلةِ في النهارِ وفي الدجنّهْ !
ومنحنَ للزوج الودادَ .. وللصغار حنانَهنّهْ
ما أظلمَ الدنيا إذا نشرَ النساءُ .. فجورهنّهْ
وتركنَ تربيةَ الصغارِ .. زيادةً في طيشهنّهْ

* * *

فارعَ البناتِ وصغْ منَ الخلقِ القويمِ خصالهنّهْ

---

(١) من مجموعته الشعرية « هذي الألحان إليك » ص ١٩ .
(٢) « لها » جمع ومفردها لهاة . واللهاة هي اللحمة المشرفة على الحلق . والمراد هنا الأصوات (القصائد) الخارجة من اللهاة .

وابذلْ لهنَّ من الوداد ، ولا تدعْ تعليمهنَّهْ
فغداً سيصبحن النساءَ البانياتِ بجهدِهنَّهْ
يا فضلَ من في محكمِ القرآنِ قد أوصى بهنَّهْ
وأنالهنَّ جنانَ عدنٍ .. فوقها أقدامهنَّهْ !

يعربيّة(1)

كانت الحسناءُ تمشي برويةْ باعتدادٍ .. طافحٍ بالأريحيّةْ
ترمق الكون بطرفٍ مشرئب للمعالي .. مستخفٍ بالمنيهْ !
في صباها عفةٌ موفورةٌ وعلى الوجهِ قداساتٌ تقيهْ
وصفاء النفسِ يبدو بوضوحٍ في مُحياها .. كأزهارٍ نديهْ

* * *

فجرى الإعجابُ في نفسي نقيًّا وبصدري لهفةٌ مُثلى نقيهْ
وتقدمتُ وفي الثغرِ سؤالٌ ثم ألقيتُ على الظبي التحيهْ..
قلتُ من أنتِ ومن أيِّ القرى يا ملاكاً آسراً .. في مقلتيهْ !؟
فرنتْ شامخةً .. أحسبها تتعالى فوق أنسابِ البريهْ
وأجابتْ باعتدادٍ عنتريٍ .. يبعثُ الفخرَ : فتاةٌ يعربيهْ !

* * *

لي سماتٌ وأمانيٌّ عذابٌ تملأُ الكونَ بأنفاسٍ شذيهْ

(1) من مجموعته الشعرية « هذي الألحان إليك » ص ٢٥ .

أعبدُ الله بصدقٍ وخشـــــوع وأناجيهِ .. صباحاً وعشيهْ
وألوم اليعربياتِ.. اللـــــواتي لمْ يعـد فيهنَّ للطهرِ حميهْ
فتحلَّلنَ من الأخلاقِ طيشـــاً وهي رمزٌ لسموّ الآدميةْ

* * *

وبودّي لـو أرى قومي أسوداً يسجدُ المجدُ لهم ، والعبقريهْ
تحتويهمْ وحـــدةٌ مرصوصةٌ تجمعُ الشملَ على الدربِ السويهْ
وأرى أرضي كما كانتْ قديماً حرة ، مرفوعةَ الرأسِ، أبيهْ

كمال عبد الكريم الوحيدي

حياته :

ولد كمال الوحيدي في غزة هاشم عام ١٩٣٢ م وعاش في قرية المخيزن بقضاء الرملة .. تلك القرية التي يجري من خلالها ماء ذلك الوادي الذي يحمل اسمها صيفاً وشتاء . وتربّى في عشيرة الوحيدي التي تنتشر في منطقة غزة وبئر السبع والرملة ... تلك العشيرة الكريمة التي تنتسب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما .. والتي ساهمت في حرب الانجليز في جنوب فلسطين أيام الانتداب البريطاني . وفي مدرسة الفلاح الاسلامية التي أنشأها المجلس الاسلامي الأعلى في غزة لتقوم بتربية الطلاب على الاسلام تلقّى تعليمه الابتدائي . وفي ثانوية غزة أتم دراسته الثانوية .

وتنقل كمال بين القرية والبادية والمدينة .. تنقل في ساحل فلسطين الهادىء وسهولها الفسيحة الخضراء وجبالها الشّم ..

تلك الربوع التي تفوح منها رائحة أزهار البرتقال والليمون وتغطيها أشجار الكرمة والفواكه والزيتون .

لم يتمتع كمال بهذا النعيم طويلاً ، إذ بدأت الاضطرابات تعم فلسطين ، وبدأ الانجليز واليهود بتنفيذ مؤامراتهم لانتزاع فلسطين من أبنائها المسلمين ليقدموها لليهود . ويبدأ جهاد مرير بين أبناء فلسطين والمغتصبين .. ويشيع في الناس أن قوة من المجاهدين المصريين وصلت أرض فلسطين لتؤدي الواجب تجاه أرض الأقصى . ويهب الفتى الصغير كمال مسرعاً إلى غزة ليلتقي بقائد تلك المجموعة وهو المجاهد المؤمن الحاج حسني المنياوي الذي خاض المعارك العنيفة مع اليهود . والتحق الفتى بالمجاهدين تحت إمرة هذا القائد الذي وكل إليه بعض الأعمال التي تناسب صغر سنه .

وتجري الرياح بما لا يشتهي المسلمون وتحل النكبة بالشعب الفلسطيني ويغادر شاعرنا تلك الربوع تاركاً فيها ذكريات طفولته ليعيش على مقربة منها في غزة .

وفي عام ١٩٥٢ م يمم شطر القاهرة والتحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ودرس فيها سنتين حُرم بعدهما من مواصلة دراسته وأرغمته حكومة مصر أيام جمال عبد الناصر على مغادرة البلاد لنشاطه الإسلامي .. فعاد إلى غزة وعمل فيها

مدرساً حتى عام ١٩٦١ م ثم تعاقد مع دولة قطر للعمل في وزارة التربية والتعليم ، وهناك دفعه طموحه العلمي إلى الانتساب إلى جامعة بيروت العربية وحصل منها عام ١٩٧٣ م على ليسانس في اللغة العربية وآدابها .

شعره :

نظم الأستاذ كمال الشعر مبكراً ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره .. وكان للنكبة التي حلّت ببلده وللظروف القاسية التي مرّ بها أهله وأبناء وطنه أثر كبير على شعره فلا عجب أن يقف معظم شعره على فلسطين .. يصف نكبتها المُرَّة وأحداثها الدامية .. ويحن إلى أرضها الطيبة ومقدساتها المباركة .. يذكرها ويثير الحمية في النفوس عساه يرى رايةً للجهاد ترتفع وصيحة للحق تدوي .

عاش شاعرنا أيام طفولته في ظل الانتداب البريطاني على فلسطين .. وما إن خطا خطوة في مرحلة الشباب حتى تفتحت عيناه على خطط الإنجليز ومؤامراتهم لتسليم البلاد إلى اليهود .. هؤلاء الإنجليز الذين تغطرسوا في فلسطين وساموا شعبها سوء العذاب وحاربوا ثورة الشعب الفلسطيني أقسى المحاربة .. ولما أحسّ شاعرنا بكيدهم قال في قصيدة بعنوان « يا رب » :

والإنجليـز تغطـرسوا في أرضنـــا
سلبوا ثراها من شـــذاً فـــوّاح
وأتوا بقـــوم لا نحـــب وجـــوههـــم
وقد استطـابـوا الفتــك بالأرواح

ودخلت الجيوش العربية أرض فلسطين عام ١٩٤٨ م ولكنها تقاعست عن واجب الجهاد .. واستولى اليهود على كثير من البلدان فذهب أهلها إلى قائد الجيش المصري أحمد المواوي مستنجدين ونظم شاعرنا قصيدة بعنوان « فلسطين » يقول فيها :

أحاط الشر أرض المرسلينـا — ودكتهـا جموع الغاصبينا
فنادت قومهـا فأتـوا بسبع — فيالق تملأ الدنيا طنينا

إلى أن يقول :

وإن سُئل المواوي عـن رجوع — أجاب بكل كبر مستهينا :
دعـوا ما يأخذون بجنـح ليـل — سنرجعه الغـداة مبكرينا ! !

وقام اليهود بعمليات إرهابية أثارت الرعب في قلوب المواطنين العُزّل وحدثت مذبحة دير ياسين عام ١٩٤٨ م .. وأخذ كثير من الناس يهجرون بلدانهم هرباً بأعراضهم ودمائهم .. ويستقر مقام شاعرنا في غزة .. وتمر الأيام ويشتد به الحنين فينظم قصيدة بعنوان « وطني » يقول فيها :

وطـني إليـك تحيتي وهيامي   وعليك يامثوى الجدود سلامي
وإليك ما غنّى الهزارُ بروضـه   شوقاً يردد في الفؤاد الدامي
فلعل رب الكون يأذن باللقـا   ويعيد مجداً زال كالأيام

ويعيش أبناء فلسطين مشردين بعيدين عن ديارهم ، وتفرض عليهم القيود ليعيش الغاصبون في أمان .. وينظم كمال قصيدة يدعو فيها إلى تحطيم القيود والثورة على اليهود فيقول :

والقيد للأبـطال في أيامنـا   صنعـوه حتى يستبدَّ المسرفُ
سيعيد أبناء التشرد أرضهـم   يوم النفير بهمة لا تضعف
والعار مهمـا جلّ يُغْسَلُ بالدما   والذل يرفضه الأبيُّ ويأنف

وفي عام ١٩٥١ م يقام الحفل الثقافي السنوي في قطاع غزة تحت إشراف الحاكم العسكري .. ويدعى شاعرنا للمشاركة فيه فيلقي قصيدة بعنوان « إنهض أخي » يقول فيها :

يا أيها الوطـن الحبيب تحية   يا معبداً ضجّت به صلواتي
قد قسّموك وعذبوك وأغرقوا   عينيك في بحر من الظلمات
طردوا من الجدران كل صبية   عذراء أطهر من ندى الزهرات
ومشوا إلى الشيخ الوقور بخنجر   ذبحوه وهو يرتلُ الآيات

وقد لاقت القصيدة إعجاباً كثيراً من الحاضرين فلقبوه على أثرها بشاعر غزة .

وتحل بأمتنا النكبة الثانية عام ١٩٦٧ م وتضيع القدس

ويسلب المسجد الأقصى .. فيقول :

طُردنا من جنان القدس قهراً وكان فراقها يوما عبوسا
يُسامُ المسجد الأقصى هوانا يعيث بطهره أعداء موسى

وتحاك مؤامرات جديدة .. وتعرض مشاريع الإسكان على الشعب الفلسطيني فيرفضها بقوة .. ويهب شاعرنا ليقول في مطلع قصيدة بعنوان « يا دار » :

يادار لن أرضى بغيرك دارا كلاّ ولو بذلوا ليَ الأقمارا

ويعلن رفض هذه المشاريع ويدعو إلى الجهاد قائلاً :

شباب المسلمين بكل وادِ وأسد الغاب حيٌّ على الجهاد
نريد الحق فوق الأرض يعلو ولو عصفت بأمتنا العوادي
نريد الثورة الكبرى تلظى ونحن وقودها وبها ننادي

وفي عام ١٩٧٣ م يكثر الكلام عن عقد مؤتمر للسلام في جنيف بين العرب واليهود ، وتكثر رحلات وزير خارجية أمريكا اليهودي كيسنجر إلى المنطقة ، فيوجه كمال قصيدة إلى الأمة العربية بعنوان « لا تغمدي السيف » قال فيها :

من قمة الشيخ حتى الطور والهرم
من سفح أوراس حتى القدس والحرم

من كل شهم يفور الثأر في دمـــــه
من كل عين أبت بالذل أن تنم
من كل جرح تفوق المسك نفحتــه
يا أمة العرب ضمي الصف والتئمي
لا تركـني لكفـور بات يخدعنـا
يبدي الوداد ويخفي السُّمَّ بالدّسم
لا تُغمدي السيـف إن اليـوم موعــده
قبل الضياع وفقـد الروح والقيـم

وفي عام ١٩٧٦ م يكثر المتاجرون بالقضية الفلسطينية ويسعى أولياء الشرق والغرب لاهثين وراء الحل السلمي .. فنظم شاعرنا قصيدة استعرض فيها أدوار المسرحية ووجهها إلى هؤلاء المتاجرين .. وقال فيها :

ربع قرن قد عددنا للقضيـــة أيها التاجر يا رمز البليّهْ
فوجدناهـا طريقـاً للمآسـي أُحكمت فيها فصول المسرحيهْ
أتقن الأدوار فيها كل بـاغ من دعاة تـاجـروا بالوطنيهْ

ولم يقتصر شعر الأستاذ كمال على فلسطين .. فقد نظم أشعاراً في مجالات كثيرة من أغراض الشعر وفنونه ..

فله في الشعر الاجتماعي مثل قصيدته التي نظمها عام ١٩٥٦ م عندما رأى الناس في بلادنا يحتفلون بعيد الأم على

الطريقة الغربية .. فقال يستنكر هذا التقليد :

الأم أكرمها الذي خلق الدنـا والآي يشهد والحديث العاطرُ
في كل يوم عيدها في ديننـــا ولها الوفاء بكل يوم وافرُ

ومن شعره الاسلامي الذي يتحدث فيه عن الأخوة الإسلامية قصيدته التي بعنوان « أبي الاسلام » والتي يقول فيها :

أنـا يا قـــوم إســـلامي أنـا مصري أنا شامـــي
أنا من تـــونســ الخضـرا ومـــن مكـــة إلهامـــي
أنـــا هنـــدي وأفغـــانـــي وتـــركـــيٌّ بـــإقـــدامـــي
ببـــاكستـــان إخوانــــي وفي إيـــران أحـــلامـــي

إنتاجه :

١ ـ كَتَبَ تمثيليتين في قطاع غزة :

الأولى بعنوان « الوطن » عام ١٩٥٧ م .

والثانية بعنوان « الزحف » عام ١٩٥٩ م

وقد نجح تمثيلهما في القطاع نجاحاً كبيراً .

٢ ـ كَتَبَ تمثيليتين في قطر :

الأولى بعنوان « طريق العودة » .

والثانية بعنوان « ام الخير » رابعة العدوية . كتبها شعراً ونثراً .

وقد تم تمثيلها في بعض مدارس قطر .

٣ ـ كتب مجموعة قصص وطنية قصيرة .

٤ ـ كتب عدة مقالات دينية ووطنية. ونشرها في عدد من الصحف .

٥ ـ نظم مجموعة أناشيد للمدارس .

٦ ـ له ديوان شعر مخطوط ينتظر الطبع .

مختاراتنا من شعره :

١ ـ « إلى قائد الكتيبة الفلسطينية عام ١٩٥٤ م البكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف »[1] نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٥٤ م يصف فيها العمل الجليل الذي قام به القائد

---

(١) عبد المنعم عبد الرؤوف قائد مجاهد فذ من قادة الجيش المصري .. قائد أحب وطنه وأمته وعارض الحكومة المصرية في انضمامها إلى الحلفاء في الحرب العالمية الثانية .. وكان وقتها قائد أسراب فقبض عليه وجُرِّدَ من رتبته .. ثم أُعيد إلى الجيش وأصبح قائد ميدان .

اشترك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م مع الجيش المصري ، وأبلى في الحرب بلاء حسناً .. وحاصره اليهود ثلاث مرات وبعون الله تمكن من فك الحصار .

وجاء دوره في الثورة فكان من قادتها البارزين ، فقد احتل قصر فاروق بالقوة رغم مقاومة الحرس الملكي العنيفة .. وتولى قيادة الجيش المصري من القناة إلى قطاع غزة . وأنشأ الكتيبة الفلسطينية وتولى قيادتها بنفسه ، وكان بيته في مقر الكتيبة في رفح .. وسجى حثيثاً حتى فتح أبواب الكلية الحربية لأبناء فلسطين . =

المؤمن عبد المنعم عبد الرؤوف الذي أنشأ الكتيبة الفلسطينية في قطاع غزة وقام بإعداد شبابها إعداداً متكاملاً جمع فيه بين المسجد والمعسكر ، ورباهم على الإيمان والجهاد ودربهم على فنون الحرب أحدث تدريب .

٢ ـ « كتاب الله يدعوكم لزحف » .. عندما دارت الحرب بين الهند وباكستان عام ١٩٧١ م ، ووقفت الدول الكبرى وراء الهند لفصل باكستان الشرقية عن الغربية .. نظم الشاعر هذه القصيدة وطالب الأمة الإسلامية بالنفير العام ومساعدة باكستان في حربها مع الأعداء والمتآمرين .

٣ ـ « صرخة الشهيد » ، نظمها الشاعر عام ١٩٧٩ م حين رأى المساومات المستمرة من جانب الدول الكبرى وبعض الدول العربية للصلح مع اسرائيل ... نظمها على لسان شهيد وما أكثر شهداء الحق في فلسطين الذين روّوا

= لقد أقام هذا القائد مسجداً في كل كتيبة وأمر الجنود بالصلاة وأحضر لهم العلماء والوعاظ ليعظوهم ويربوهم على آيات الجهاد .

ولما دُبرت المؤامرة الكبرى ضد الحركة الإسلامية في مصر عام ١٩٥٤ م ، اعتقل عبد المنعم ونقل إلى القاهرة وحكم عليه بالإعدام .. ويوم التنفيذ اقتيد من السجن إلى حبل المشنقة وفي الطريق تم اختطافه بقيوده من قبل قوة عسكرية بقيادة ضابط كبير من أصدقائه في الجيش وتم إخفاءه وتهريبه خارج مصر .. وعاش فترة من الزمن في الأردن وتركيا ولبنان بعيداً عن أسرته وإخوانه .

أرضها المباركة بدمائهم الزكية .. وقام الشاعر بتحذير الأمة الإسلامية من مكر يهود وغدرها ،وبين لها أن طريق استرجاع فلسطين هو طريق الشهداء ولا طريق سواه.

الى قائد الكتيبة الفلسطينية عام ١٩٥٤م

البكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف

ياقائد الجيش الفتي تحية
تهدى إليكَ محبة وسلاما
أقبلت يوم العار تنقذ أرضنا
والله تنشدَ غايةً ومُراما
وسلكت درب السالفين منفذاً
أمر الإله لتحطم الأصناما
فضّلت شرعته ودرب نبيه
فلقيت من كيد الطغاة ضراما
فحمتك في كل المعارك عينه
وحباك رغم أنوفهم إكراما
أقبلت لما الخائنون تخاذلوا
وهناك كنت الفارس المقداما
ومضيت للقصر الأثيم تدكه
حتى هوى مَلِكٌ بمصر تعامى

وأبيْت إلاّ أن يــكــون لقــدسنــا
جيْشٌ يعـــد طليعـــة وإمـامـا
يمـضـــي إذا حــان النفــير مكبـراً
يدمي جبين الخصـــم ثـم الهـامـا
جيش يحــرر أرضــه مــن غاصب
فيهـا استقـر بخـدعـةٍ وأقـامـا
يجـــزيــك عبـد المنعـــم الملك الذي
خلـق العبـاد وأنـزل الأحكـامـا
يجـزيـك عنـا الله كـل كـرامـةٍ
والخيرَ في الداريـــن والإنعـامـا
فلقـد أقمـت بكـل ركـن مسجـداً
حتـى تعـز الجنـد والإسـلامـا
وأتيت بالعلمـاء أصحـاب التقـى
يعظـون جيشاً بالهـدى يتسـامـى
فجمعـت بـين قذيفـة ورسالـة
ورفعت في نهـج العـلا أقـوامـا
فلقـــد مضينـا ذات يـوم صحبـة
وإذا بجنـدك ركّعـاً وقيـامـا
وسألتهـــم بعـد الصـلاة تهامساً
فإذا الثنــاء يبـــدد الآلامـا

عبد الرؤوف أجابني إيمانهم
هذا الذي سيحطم الأصناما
الله يحفظه ويعلي شأنه
ويزيده من فضله إقداما
شهد « اللواء »[1] له بيوم تناور
وقرأت عندك شكره البسّاما
أبدى تعجُّبَهُ لفعل كتيبة
أمضيت في تدريبها أيّاما
هزموا جنوداً في التناور قد قضوا
بين الجيوش الوقت والأعواما
آمنت أنّ الدّين أول عدة
للحرب ثم نجرِّد الصمصاما
علّمت آيات الجهاد لعسكر
قد رتّلوا الأنفال والأنعاما
وحَننت لليوم الذي تسقي به
جمع اليهود الذُّلَّ والإرغاما

(١) ضابط مصري برتبة لواء تمت المناورة بين الكتيبتين المصرية والفلسطينية تحت إشرافه .

كتائب الله يدعوكم للزحف

أطـــــلّي روح إقبـــال أطـــــلّي
عـــلى دكّـــا وقـــولي لا تذلّـي
أنــيري في نفــوس الجيشــ نــاراً
وقــولي يــا نيــازي [1] لا تــولّ
وجــاهـــد في سبيـــل الله حـقــاً
وقــل لــلأسـد دكـيّ كـلّ صـل
فإمـــا ميتـــة تبقـــي حيــــاة
وإمّـــا الله ينصـــرنـــا ويعـلـي
أذيقـــي جيشـــ أنـديـــرا ضـراماً
أبيـــدي جمعهـــم فـــوراً وشـلّـي
عبيـــد الثـــور « دكّـــا » لا تهـابـي
و يا كشمـــير ثوري واستقلـي

---

(١) نيازي : هو قائد الجيش الباكستاني في باكستان الشرقية أثناء الحرب .

يــريــد المجـرمــون الديــن يفـنى

بباكستــــــان في حقــد وغـلّ

عــلى الأيتــــام قــد صبّـــوا جحيمـاً

من النابـالــم يحـر قهـم ويصلّــي

ومــا استثنــوا شيـوخــاً أو صبـايـا

ولا المحـراب يغشــاه المصلّي

أبـاحـــوا العــرض للسكنـاج غـدراً

أباحـوا الطـهـر يا قـومـي وأهـلـي

حفيـد القاسم المغــوار هيّــــا

لباكستـان قـدّم كـل بـــــذل

أيفنــى إخـوة هبّـوا سراعـــاً

إلى ذاك الخبيث المستحــــلّ

أفيقــي أمتــي .. الأقصــى ينادي

إلى لاهــور ســيري لا تخـلـي

كتــاب الله يــدعــوكـــم لزحـف

فجـــودوا بالكثــــير وبالأقــلّ

فـعــار أن يطــول اليـوم أسـري

وخـــزي أن تفـــلّ الهـنـد نصلـي

أجـــولـــدا في فلسطـين استبـدت

وأنـديـــرا بـبــاكستــان تملـي

أرورا[1] يقــذف الأيتــام نـــاراً

ومن دايـــان إحــراقـي وذلّـــي

صـــلاح الــديــــن منّــا مـا نسينـا

وخـالـــد كـان في الساحات يبـلـي

فإن تحيـــا خـــذ القـــرآن وحياً

فمنــــه النـــصر تلقـــى والتجــلي

(١) جيكوب أرورا قائد هندي يهودي قاد القوات الهندية التي غزت باكستان الشرقية.

صرخة الشهيد

خذوني للمعارك كي أجودا
بنفسٍ تعشق الأخرى خلودا
إلهي مرةً أخرى أعدني
لأسقي بالدم القاني ورودا
لقد ألفيت وعداً منك حقاً
ومن أوفى من المولى عهودا
ولكنّ السلام يذلُّ قومي
إذا ولّوا عن الأقصى صدودا
فليس الحلُّ في سِلْمٍ مهينٍ
به الأغلالَ نلقى والقيودا
فما جزّار قبية[1] ذا سلامٍ
ولا الأخصام نرضاهم شهودا

---

(١) جزّار قبية هو « بيجن » الذي حصل على جائزة نوبل للسلام ! !

ففـي حطيـنَ لم يحجـمْ فتِـانـا
وأهـل الغـرب قد جـاءوا حُشـودا
أبـادَت جمعَهـمْ أسيـافُ قـومٍ
إلى الرحمـن كـم باتـوا سجـودا
سلـوا جمع المغـول وقـد تـولّـوا
بيـوم الزحـف في الـدُّنيـا شُرودا
إذا الرّشّاشُ لم يصنـع سـلامـاً
فلـنْ تـأتِي الحقـوق ولـن تعـودا
إذا الأرواح لم تـرجـع حقـوقـاً
رضينـا الـذّل واختـرنـا القعـودا
رجـال المسلمـين لم استكنْتـم
لمـن خانـوا الأمـانـة والعهـودا
فهيّـا للنّفـير ولا تـوانـوا
أبيـدوا الخصـم لا تبقـوا جَحـودا
خـذوا أولادنـا للقـدس حصنـاً
خـذوا الأكبـاد لـلأقـصى وقـودا
خـذوا الأمـوال إن رمتـم جهـاداً
جبـال النـار تهـوى أن نعودا
خـذوا القـرآن نـبراساً ونـوراً
إلـه النّـاس يمنحنـا الصُّمـودا

فإن هبّت لِحيْفانا السَّرايا
أتانا النَّصْرُ خفّاقاً بنودا
وفي الإسراء ترغيبٌ وبُشرى
من الرحمن إكراماً وَجُودا
هَلُمّوا يا بني قومي ليومٍ
به الأبطال تجتازُ الحدودا
إلى العلياء إخواني أغيروا
رِدُوا السّاحاتِ في الهيجا وُرودا
أذيقوا جيش صهيونَ المنايا
ولا تبقوا بها عِلْجاً لدودا
فضُمّوا الصّفَّ يا قومي وأهلي
ولا تَذَرُنَّ في الأقصى يهودا
لقد عاثوا بأوطاني سنيناً
ولم ألمح بدنيانا أسودا .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة